في تاريخ المغرب الدبلوماسي

الرموز السرّية في المراسلات المغربية عبر التاريخ

د. عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

تاريخ المغرب الدبلوماسي

الرموز السرّية في المراسلات المغربية عبر التاريخ

٠٠١٠٣

د. عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي

سنة 1403 = 1983

مطبعة
المعارف الجديدة
707.08.09.15.38 :☎
الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

الر - حم - ن = الرّحمن

صدق الله العظيم



يعتبر المغرب مدرسة عتيقة في تاريخ العلاقات الدولية ، ومن ثمة وجدنا اسمه بارزا في كل منعطف من منعطفات السياسة العالمية، ووجدنا مساهمته الفعالة واضحة في كل الاحداث التي صنعت تاريخ القارات.

وقد كانَ في صدر العناصر التي أثارت انتباهي وأنا أعالج كتابة (تاريخ المغرب الدبلوماسي) هذا العنصر الذي يهتم بموضوع المراسلات والخطابات التي كانت المملكة — عن طريقها — تعبّر عن حيويتها ونشاطها.

ولا أريد هنا أن أفتح حديثا عن المعاهدات والاتفاقيات وأساليبها وطرق توثيقها وإحكامها...

كما لا أقصد أن أتناول الكلام عن المواصلات والمخابرات من حيث مادّتها وأغراضها كذلك ، فإن لهذه وتلك مناسبات أخرى.

ولكن القصد هنا إلى إفراد الحديث عن نوع خاص من المخاطبات ، ويتعلق الامر بالرسائل التي كانت تكتب بواسطة الرموز والأشكال المتفق عليها بين المرسل والمرسل إليه ، وتقرأ أيضا ، حسب ذلك المتفق عليه : أعني : «التّعمية وكشف المعمَّى» أي ما يعرف في لغة العصر الحاضر باسم (La Cryptographie)أو (الشّيفرة)(1).

إنه جانب آخر من الجوانب المشرقة في تاريخ المدرسة الديبلوماسية المغربية القديمة : إنه تقليد متوارث له أصول تضرب في جذور التاريخ.

---

1) كلمة الشّيفرة أصلًا عربية : صِفر ، أخذها الغرب وتحولت عندهم إلى (شيفر) (chiffre) وها نحن ننقلها عنهم اليوم محرّفة ! كما نقلوا عنّا اسم جبل طارق الذي تحرّف عندهم فنقَلْنا نحن في المغرب عنهم هذا التحريف وسميناه (جبل الطرّ) !!.

لقد فكر الانسان قبل مئات، إن لم أقل قبل آلاف السنين ، في طريقة لنقل المعلومات منه إلى من يريد أن تقتصر عليه تلك المعلومات ، فسمعنا عن حالات معينة للاغريق والرومان والفرس والصين والمصريين القدامى...

ولكن كل ذلك لا يعدو أن يكون «حالات» لم تُتبع بدراسات...

ولقد كانت الجهة المتميزة التي مارست هذا الموضوع وأعطته ما يستحقه هي الجهة العربية، فالعرب كانوا هم السباقين الذين وضعوا الأسس الأولى للترّميز والتّعمية وقدموا أمثلة حية لما سنوه من قواعد.

لقد انطلقت الأمة العربية منذ ظهور معجزة الاسلام عبر الجزيرة ، في اتجاه هذا العالم الفسيح الأرجاء بين سمرقند والمغرب عبر أرض الشام وآفاق العراق وفارس ومصر والاندلس ، وكان عليها أن تلتقي مع عدد كبير من التيارات والحضارات علاوة على ما كان يتوفر عليه لسانها من غنى وبذخ... ويتوفر عليه خيالها من صفاء وعطاء ، وكل هذا ضاعف من الحاجة إلى اتباع وسائل للمخاطبات السرية لبلوغ الأهداف...

وقد تحدث ابن النديم في فهرسته عن أبي بكر أحمد بن علي ابن الوحشية (من أهل العراق) الذي كان موجوداً عام 241 = 855 ... تحدث عن تآليفه الكثيرة ، وذكر منها كتاباً حول (ألفبائية سرّية) بعنوان : (شوق المستهام في معرفة رموز الاقلام)(2).

وإذا ما تجاوزنا ابن الوحشية فسنجد أنفسنا مع أبي بكر محمد بن يحيى الصولي (335هـ) في مؤلفه (أدب الكاتب)(3)الذي يخص هذا النوع من الكتابة المعماة بتعبير فارسي هو كلمة «الترجمة» أي الكتابة بالاشارة ، وليست الترجمة تعني نقل الكلام من لغة إلى أخرى ، ولكنها تعني الكلام المعمى ، وذلك مثل ان يطلق على

---

2) نشر هذا الكتاب باعتناء الاستاذ ج . هامر (J. Hammer) يوسف اليان سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة I، 281 .

DAVID KAHN : La guerre des codes secrets : Paris , 1980 . p . 15

3) صححه صديقنا الشيخ الأستاذ محمد بهجت الأثري ، بغداد 1341

الالف ، فاختة ، والباء : صقرا ، والتاء : عصفورا وهكذا دواليك ... وربما جعلت أمام كل حرف من حروف الهجاء التسعة والعشرين منزلة من منازل القمر التي تصل هذا العدد [4] ويجعل القمر نفسه إتماما للتسعة والعشرين ... فإذا أردت أن تكتب (أنا) تكتب الشرطين ــ سعد الاخبية ــ الشرطين ، فإذا أردت أن تتبعها بقولك (خارج) كتبت : الذراع ــ الشرطين ــ الجبهة ــ الهقعة ، فإذا أردت أن تتبعها بكلمة (إليك) كتبت : الشرطين ــ سعد بلع ــ القمر ــ سعد الذابح...

ويعتبر حمزة ابن الحسن الاصفهاني (ت 360) صاحب كتاب (التنبيه على حدوث التصحيف) من أقدم من تكلم في استخراج المعميات أو المضمرات [5] وقد خصص في كتابه هذا بابا بكامله لطريقة استخراج المخاطبات بالاشارة ، وهو يبدأ بتقديم أمثلة من الكلام الشعري المعمى حيث يحملك على ضبط أوزان الشعر أولا قبل أن يأخذ في إحصاء حروف بالحذق والذوق حتى تقف على جنس الوزن...والأصفهاني يعتمد أيضا على التعبير عن الحروف بأسماء لطيور يختارها الانسان «فإذا وجدت غرابا يتكرر مع عصفورة وعصفورة تتكرر مع غراب علمت أن أحدهما ألف والآخر لام الخ...» ولا تقصد بعض الحروف بالتدبير دون بعض فإنك إن فعلت ذلك طال عناؤك وانتقض عليك تدبيرك... وليس يخرج شيء من الكلام العربي عن تأليف الحروف الثمانية والعشرين ... وربما دبرت البيت المعمى وساعدتك الحروف على ما ترسمها به وارتج عليك فيه حرف واحد فيضطرك ذلك الحرف إلى نقض ما دبرته واستئناف تدبير ثان ..! إن الفكر يهجم على الحقيقة إن آثرت الصبر عليه..!

---

4) منازل القمر : الشرطين ، والبطين ، والثريا ، والدبران ، والهقعة ، والهنعة ، والذراع ، والنثرة ، والطرف ، والجبهة ، والزبرة ، والصرفة ، والعواك ، والسماك ، والغفر ، والزباني ، والاكليل ، والقلب ، والشولة والنعائم ، والبلدة ، وسعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد السعود ، وسعد الاخبية ، والفرغ المقدم ، والفرغ المؤخر ، وبطن الحوت .

5) حقق هذا الكتاب الاستاذ محمد أسعد صلس ، دمشق 1968 .

ويأتي الاصفهاني بعد هذا بأسماء طيور على عدد حروف الكلام ليحتذى عليه : طاووس ــ تدرج ــ باز ــ شاهين ــ باشق ــ يؤيؤ ــ عُقاب ــ صقر ــ نسر ــ رخمة ــ غراب ــ دراج ــ طيهوج ــ قَبَج ــ ورشان ــ حمام ــ بط ــ صرد ــ حجل ــ قنبرة ــ كركي ــ عقعق ــ ديك ــ دجاجة ــ عندليب ــ العنقاء ــ حِدَأة.

وإن شئت جعلت بدل أسماء الطيور أسماء السباع أو الوحوش أو الناس أو أجناس الطيب أو أنواع ألفاكهة أو الرياحين أو الآلات أو الجواهر.

ولا يغفل الاصفهاني عن التذكير بوضع علامة ما بين الكلمات : دائرة أو نقطة أو ما يستدل به على مقاطع الكلمات ، وقد ساق كمثال للتدريب على نوع من هذه التعميات أن طلب أداء حروف امرئ القيس :

(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل)

بأسماء من الطيور المتقدمة أي أنك تقوم بترجمة أي تعمية الخطاب عن طريق الاتيان عوض الحروف بأسماء من الطير ...

* * *

ويعتبر أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت 395) في كتابه (ديوان المعاني والنظم والنثر) يعتبر أيضا من أقدم مَنْ تكلم عن استخراج المضمر أو المعمّى ، وقد نقل عن حمزة الاصفهاني بعض المعميات الشعرية التي اعتمدت على التكنية عن الحروف الهجائية بأسماء الزهور في هذا البيت :

كفــى حزنـا أن الجـواد مقتَــرٌ عليه ، ولا معروف عند بخيـل!

وعلى نحو ما قاله أصحاب هذا (الكلام الباطن) فقد ذكر العسكري أن الألف أكثر الحروف وجودا يليها اللام إلى آخر ما هو معروف في هذا الصدد..«ووجه استخراج المعمّى أن تنظر إلى الأسماءالتي جعلت مكان الحروف ، فما تكرَّر وكثُر في البيت فظن أنه الالف ...فأطلب بعده اللام ، فإنها تقع بعد الالف كثيرا...» وبعد أن يسوق عددا من الأمثلة يعقب بأن كل ذلك ، لا ينفع إلا مع جودة القريحة وشدة الذكاء والفطنة ومع النشاط وصدق الشهوة...وقد نقل تعمية أخرى لهذا البيت من الشعر :

وكن ذاكراً بيت النوييغ إنه سيحلو على سمع اللبيبُ ويعذب

كانت التعمية تعتمد على أداء الحروف بالكلمات التي يأخذ في ترجمتها كلمة كلمة ليدرب الطلاب المريدين على مثل هذه الخطابات

وقد ساق العسكري أمثلة أخرى من المعمّى بغامض الحساب ، والمعمى عن طريق استعمال الغريب من الكلمات والتراكيب العربية...

وعن أبي هلال العسكري (6)هذا، نقل المهتمون بالحديث عن (المخاطبات السرية) ما يتعلق أيضا بالاشارات والتوريات التي تفهم من ثنايا الكلام على نحو ما تورده هذه القصة التي رويت عنه في أكثر من مصدر : في كتاب (الملاحن) لابن دريد وفي (الأمالي) للمرتضى ، وفي (الصبح) للقلقشندي.

لقد أسر بنو حنظلة (7)رجلا من بني العنبر ، وفَهِمَ عنهم أنهم يقصدون الغارة على قومه بني العنبر ، فقال لبني حنظلة : إن لي حاجة عند أهلي وأريد رسولا من قومكم أرسله فيها ، فأجابوه إلى ذلك بشرط أن يخاطبه في حاجته بحضورهم ، فأحضروا له رجلا في الليل وقد أوقدت العرب نيرانها ، فأقبل على الذي أتوه به ، وقال له : أتعقل؟

---

6) أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل : ديوان المعاني ـــ والنظم والنثر . نشر مكتبة القدسي القاهرة 1352 .

7) يروي الكلاعي هذه القصة على أن الاسير هو ناشب بن شامة ، وأن الذين أسروه هم بنو سعد ؛ إضافة الى بعض الاختلاف إلا أن روح القصة يظل هو هو ...

قال : إني لعاقل ، فقال انظر إلى السماء ونجومها ، فنظر . ثم قال : انظر إلى نيران العرب ، فنظر ، فقال له : ما الأكثر ، نجوم السماء أو نيران العرب؟ قال : إن كلا منها لكثير ، قال : إنك إذا لعاقل . ثم دفع إليه حنظلة وصرة فيها رمل وصرة فيها شوك ، وقال : اذهب إلى قومي فادفع إليهم هذه الحنظلة وهاتين الصرتين ، وقل لهم : يعروا ناقتي الحمراء ، ويرحلوا جملي الأورق وسلوا أخي الاعور يخبركم ، فقال الحاضرون : ليس في هذا ما ينكر ، اذهب في حاجته . فذهب إلى بني العنبر ودفع إليهم ذلك وقص عليهم القصة ورجع ، فبعث القوم إلى أخيه الأعور فحضر فأخبروه الخبر فقال : «إنه يقول : أتاكم بنو حنظلة في عد الشوك والرمل ، وأن نيران العرب تعادُّ نجوم السماء ، ويأمركم أن ترحلوا عن الدّهناء وانزلوا مكان كذا ، ففعلوا ورحلوا لوقتهم فصبّحهم بنو حنظلة فلم يدركوا منهم أحدا»!

وإذا كان الصولي اختار لفظ الترجمة للتعبير عما قلنا، فإن أبا الحسين إسحاق بن ابراهيم بن أحمد بن سليمان ابن وهب (الكاتب) (القرن الرابع الهجري) أعطاها في كتابه (البرهان في وجوه البيان)(8) اسما أصيلا سمعناه لأول مرة وهو «الكتابة الباطنة».

وهكذا فبعد أن تحدث أبو الحسين إسحاق ابن وهب الكاتب عن الكتابة الظاهرة أفرد الكلام عما سماه : «الكتابة الباطنة» : فإن القول لما كان فيه ما يحتاج الانسان إلى ستره وكتمانه ورمزه لنوع من أنواع الرأي في استعمال ذلك، ووجه من وجوه المصلحة المقصودة فيه حتى لا يقف عليه إلا من وثق به وسكنت النفس اليه ـــ جُعلت الترجمة والتعمية في الكتاب بدلا من التبيين ، والرمز والاشارة وسائر ما ينبغي به القول ... وقد تحدث ابن وهب الكاتب عن التعبير عن الحروف الهجائية بأشكال معينة ، تجعل كلّا منها ترجمة عن حرف من الحروف ، مثلا تبدل الحرف الحقيقي بحرف آخر تخترعه أنت

8) الكتاب حققه د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي ـــ بغداد 1967 ، ويظهر من السلسلة التي ذكرناها أن وهبا هو الجد الثالث لاسحاق ، وإذا كنا قد عرفنا أن هذا الجد توفي عام 285 فإننا لم نتوفر على ضبط لوفاة إسحاق ..!

كوضع العين مكان الجيم والألف مكان الواو ، أو تبدل الحرف الحقيقي بشكل من الأشكال تخترعه يكون معوضاً لذلك الحرف.

وقد قسم التعمية إلى ثلاثة أقسام : **أولها**التعمية بالمعاني المشتقة كالتعمية بالطاء باسم الطير والواو باسم الوحش والعين باسم العطر...وتحدث عن التعمية بوضع اسم لكل حرف ، يكون ذلك الاسم من أسماء الناس أو الطير كتصييرهم النون (قبجة) والجيم (بطة) والكاف (رمان) والصاد (رند) وأشباه ذلك.

والثاني من وجوه التعمية أن تعمّى الكلمة بتغيير مراتب حروفها فتجعل آخرها أولها وأولها آخرها وترتب سائر حروفها على هذا الترتيب مثل تصيير الهاء أول اسم (الله) عز وجل والالف آخرها ، وهكذا (هللا).

والثالث بزيادة بعض الحروف أو نقصانها ، أما بالزيادة فأن تزاد حروف «أغفال» بين الحروف المعماة لا تحتسب... كزيادتك ياءً بعد ميم محمد وكافا بعد حائه وجيما بعد ميمه وصادا بعد داله فيصير هكذا (ميحكمجدص)...وأما النقصان فأن يجعل للحروف المقترنة مثل مع وعن ومن حرف واحد... وأن يرمز لاسم الله عز وجل بحرف واحد...

وبعد أن يذكر ابن وهب أن صور التعمية أكثر من أن تحصى يتعرض لكيفية التحيل على استخراج (المعمّى) إذا طال ، عن طريق فرز الحروف على أساس أن أكثرها وقوعا الألف ثم اللام ثم الميم ثم الياء... أما إذا كانت القطعة المعماة قصيرة ، فإن الحل يعتمد على معرفة ما يأتلف من الحروف وما لا يأتلف ، ومما يستدل به على استخراج المعمّى أيضا فواتح الكتب : بسم الله الرحمن الرحيم وكالتحميد والتمجيد في أوائل الكتب ، وكالعبارات التي تستعمل في صدر الرسائل مثل أطال الله بقاءك... أو من عبد الله أبي فلان لعبد الله أبي فلان...

ويختم ابن وهب الكاتب عرضه بالحقيقة التي رأيناها وسنراها والتي أجمع عليها أصحاب (الكتابة الباطنة) من أن حل الشعر أسهل من حل النثر...

وعلى نحو ما قرأناه عن هؤلاء... قرأنا عن حرف يُدْعى «الحرف الداودي»

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف

ق ك ل م ن ه و لا ي

[رسم للحروف الداودية]

وهكذا فحوالي سنة 468 = 1076 وجدنا تقييدا يتعلق بالسحر ، وكان يرمز لبعض الكلمات مثل (أشيون) بواسطة الحروف الداودية التي تحمل أحيانا إسم الحرف الريحاني .

وقد وقفنا في سِنْجار (شمال العراق) عند الطائفة التي تحمل اسم (اليزيدية) على حروف خاصة يحررون بها كتبهم الدينية... حتى لا تعرف عند الذين لا يأخذون بمذهبهم[9]...

وإذا ما تجاوزنا كل تلك الاستعمالات ، وجدنا أن بعض الامارات الاسلامية كانت تكتب بالرموز لأغراض سياسية ، فان المسلمين كما قلنا اختلطوا بشتى الامم المجاورة وعلى رأسها الفرس والرومان ، فلا بدَّ إذن أن يتأثر الناس بعضهم ببعض وخاصة في المناهج الادارية .

9) سعيد الديوه جي : اليزيدية ــ بغداد 1393 = 1973 ــ د. سامي سعيد الاحمد : اليزيدية ــ بغداد 1975 .

ويحتفظ لنا التاريخ بعدد من الوثائق «المشفرة» من قبل الغزنويين 351 ــ 583 = 962 ــ 1187 وعلى رأسهم سبُكتِكين[10] .

وقد نقل بعض المؤرخين الاوروبيين أن الموظفين السامين كانوا يتلقون ــ قبل التحاقهم بمقر مأموريتهم ــ شفرة خاصة بهم[11]...

لكن كل هذه اللقطات تبقى مجرد إفادات تاريخية تتعلق بحالات خاصة إذا ما قارناها بما نقلناه عن عدد من علمائنا القدامى كان فيهم بعض رجال الدولة والسياسة ورجال التاريخ والأدب .

وقبل أن نسترسل في الحديث لابد أن نذكر بأن العلماء الذين اهتموا بهذا الموضوع الشيق كان فيهم ــ على ما اسلفنا ــ من تناوله من جهة « الترميز » بطريق الحرف ، والخط ، والشكل ، لكن فيهم أيضا من تناول « الترميز » عن طريق الاشارات غير المكتوبة ولكن لها دلالات الجمل المكتوبة !

وهكذا فنحن أمام صنفين اثنين من الرمز :

الأول : الرمز عن طريق الحرف ، و **الثاني** : الرمز عن طريق الكناية ، فمن الذين اهتموا بالنوع الأول نذكر أيضا الوزير أبا القاسم جمال الدين عبد الرحيم بن علي ابن شيت المتوفى سنة 625 = 1228 الذي ولي ديوان الانشاء بقوص ثم الاسكندرية ثم بالقدس ثم وليه للملك المعظم عيسى ووزر له...

ألف كثيرا من الكتب نذكر منها : «معالم الكتابة ومغانم الاصابة» الذي يعالج فيه موضوع الانشاء وآداب كتاب الملوك...

وقد نقل القلقشندي عنه في (صبح الأعشى) أن بعض الملوك أمر كاتبه أن يكتب كتابا إلى بعض أتباعه يطمنه فيه ليقبض عليه عند انتهاز فرصة له في ذلك ، وكان ما بين الكاتب والمكتوب إليه صداقة فكتب الكتاب على ما أمر به من غير خروج عن شيء من رسمه إلا أنه

---

10) اسم سلالة المماليك الاتراك التي حكمت شرق إيران وأفغانستان والبنجاب(351ــ583=962ــ1187) أسسها ألب تكين ، أحد ولاة السامانيين ورسخها صهره سُبكتكين (367 ــ 387 = 978 ــ 997) سيطر الغزنويون طوال قرنين واتخذوا غزنة عاصمة لهم وأسسوا لاهور عاصمتهم في البنجاب .

11) La guerre des codes secrets p. 16

حين كتب آخره « إن شاء الله تعالى » جعل على النون صورة شدة ، فلما قرأه المكتوب إليه عرف أن ذلك لم يكن سدى من الكاتب ، فأخذ في التأويل والحدس ، ووقع في ذهنه أنه يشير بذلك إلى قوله تعالى : « إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » فأخذ حذره واحترز... وبلغ الملك احترازه على نفسه فاتّهم الكاتب بأنه ألحق في الكتاب شيئا نبهه به على قصد الملك ، فأحضره وسأله عن ذلك ، وأمره بأن يكتب الكتاب على صورة ما كتب به من غير خروج عن شيء منه ، فكتبه ولم يغير شيئا من رسمه حتى أنه أثبت صورة الشدة على النون ، فلما قرأه الملك ونظر إلى صورة الشدة أنكرها عليه ، وقال : ما الذي أردت بذلك ؟ فأجاب أردت قوله تعالى : « إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » فأعجب بذلك وعفا عنه لصدقه إياه .

كانت هذه الحكاية التي رواها ابن شيت شبيهة بما روي في كتب التاريخ المغربي ، عندما قرر أمير المسلمين علي يوسف بن تاشفين القضاء على المهدي بن تومرت ، حيث سمع بذلك أحد تلامذة المهدي فأتاه مسرعا حتى وقف بالقرب من خيمته التي كان بناها بظاهر المدينة وتلا بأعلى صوته : « يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين »[12] .

وقد خصص الكلاعي[13] فصلا بكامله في كتابه (أحكام صنعة الكلام) للحديث عما سماه بالمُوَرَّى لأن باطنه على غير ظاهره... وقد ساق أمثلة لما يقصده بالمُوَرَّى ، حيث ذكر أن منه قول النبي (ﷺ) لعجوز : « إن الجنة لا تدخلها عجوز » ، يريد أنهن يعدن شوابّ ، وقال لأخرى مستفهما : « أزوجك هو الذي في عينه بياض ؟ » يريد ما حول الحدقة !

ونقل عن ابن زيدون وابن فارس وأبي العلاء أمثلة طريفة من هذا النوع من (المورَّى) وكان من ذلك ما رواه عن هذا الأخير إذ

---

12) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، تحقيق محمد الهاشمي الفيلالي — الرباط 1355 — 1936 ، 2 ص 312 .

13) الكلاعي : (احكام صنعة الكلام) تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الثقافة — بيروت 1966 .

قال : العلم يدل على أن الحسن لم ير الحسين قط (يعني بهما كثيبين في بلاد ضبة) وأن فاطمة (رضي الله عنها) لم تر عليا في بيتها وقد يجوز أن تكون أبصرته على باب البيت ، (يعني بعلي الفرس الشديد) ! من أمثال تلك المفردات الغريبة المُغربة .

ويذكر الكلاعي أنه نسج على هذا المنوال من الكلام الموري فقال في رسالته (الساجعة والغربيب) : «كان بمصر فقيه لا يرى أن يصلّى على النبي » أي على ما ارتفع من الأرض ، فإن من معاني (النبي) ذلك !

ولما سمع الوزير الفقيه الحافظ أبو بكر ابن العربي رسالة الكلاعي خاطبه برسالة مماثلة... وبعد أن يشيد بمقدار الوزير الفقيه أبي بكر ينتقل إلى نوع آخر من (المورّى) وهو مايجري مجرى الالغاز...

وكما فعل الذين سبقوا الكلاعي ، فإن هذا أيضا يضع لكل حرف من الحروف العربية اسما من أسماء الطيور أو النبات أو غير ذلك ، فإذا تكرر في كل حرف ، كررت الاسم الذي وسمته به ، ومتى تمت كلمة أو حرف ، وضعت علامة تدل على أن الكلمة قد انتهت...

ويضرب الكلاعي مثلا لبعض المعميات التي تعتمد على أداء الحروف بأسماء الحيوانات ، وكان هذا المثل شطرا من بيتين...

(ظفرت بالأعداء يا ظافر)(14).

---

14) من رسالة الوزير أبي القاسم محمد بن عبد الغفور كان طيّرها الى المعتمد ابن عباد الذي كان يلقب بالظافر ، والبيتان هما :

ظفرت بالاعداء يا ظافر   ونلت مجدا نوره باهرْ
فمنك للباغي وللمبتغي   عضب جُراز وندى غامر

وقد فكها المعتمد وراجع أبا القاسم بقوله :

غنت لنا طير القريض الذي   حكت، فكان الأجدل الخاطر .
وبث قلمي شرك الفهم كي   يعلقها عقعقها النافر
فأنشدت لما ظفرنا بها   « ظفرت بالأعداء يا ظافر »
لي همة تدرك مطلوبها   ما فاتها ساع ولا طائر
يفديك بالنفس فتى وُدّه   فلك مدى أيامه ناضر

وقد توفي الجد قبل ذهاب ملك المعتمد الذي قال يرثيه من جملة أبيات :

أبا القاسم قد كنت دنيا صحبتُها   قليلا، كذا الدنيا قليل متاعها

فتكتب ما صورته : أجدل ، زرزور ، عقعق ، سُبَر ، حمامة ، إوزّة ، بلبل ، إوزّة ، شرشور ، عصفور ، إوزة ، بركة ، إوزة ، أجدل ، اوزة ، زرزور ، عقعق .

ويتفق الكلاعي مع من سبقه في أن حل المنظوم ابين من حل المنثور... كما أنه يكرر ما عرف من أن حرف الألف واللام أكثر الحروف روجانا في الكلام ، فإذا رأيت الاسم كثر تكراره فاجعله الألف أبدا... فإذا صحبت الألف فأطلب بعدها اللام...

وعند الترجمة رقم 327 من الذيل والتكملة للقاضي محمد ابن عبد الملك من أهل مراكش (تـ 963)[15] في ذكر أبي العباس ابن غزوان ، ذكر أن من قوله في استخراج (مضمرات الحروف) :

1) طال هجري فضرني سهد طرف
فاضَ رياًّ فسال سيْل أتِيِّ

2) رُبُّ عينٍ تسوقُ حَيْن محِبّ
نظري منذرٌ بِحَيْنٍ وحيّ

3) حيث شجوي يضيع حظي وعزي
وهو يعصي وغرّ طوع عصي

4) فرطُ شوقي يذود زهوي ويُغري
شغَفي في ظهور سرٍّ خفيّ

5) هو شُغلي وهمه نقض سعيي
منصف كل من يفي لوفيّ

وحتى تتم الفائدة من أبيات ابن غزوان يبن المراكشي طريق العمل بها وذلك مبني على قاعدتين : الأولى معرفة ترتيب حروف المعجم المراعى في نظمها[16]... الثانية معرفة أسسها التي اعتبرت في أبياتها... وهنا يذكر أن لكل بيت من الأبيات الخمسة أسًّا يخصه ، فأسّ البيت الأول

15) تحقيق د. محمد بن شريفة ، دار الثقافة ــ بيروت د. التازي ، جامع القرويين!! ، 483 .

16) يلاحظ المراكشي هنا أن ترتيب حروف المعجم ببلاد المغرب والأندلس يخالف ترتيبها ببلاد المشرق... فهي تتحد معها فقط الى الزاي ويلي الزاي عند أهل الأندلس والمغرب : ط . ظ . ك . ل . م ن . ص . ض . ع . غ . ف . ق . س . ش . هـ . و . ي . ويدرجون بين الواو والياء لام ألف ..

واحد ، وأسّ الثاني اثنين ، وأسّ الثالث أربعة وأسّ الرابع سبعة وأسّ الخامس أربعة عشر ، وفي هذه الأسس مفردة أو مجموعا بعضها إلى بعض توجد الأعداد على تواليها من الواحد إلى الثمانية والعشرين عدد حروف المعجم إلى آخر التفصيل الذي ختمه بتقديم أمثلة لمضمرات الحروف... ويختم المراكشي بتقديم صورة لجدولين يمكن نصبهما عرضا وطولا حسب الاختيار وحسب ما يسعه الموضع .

قال : وبهذين الطريقين أو بما شئت منهما تستخرج حروف الكلمة واحدا بعد واحد إذا أضمر لك اسم أو فعل أو حرف... ثم أورد أبياتا أخرى على طريقة الأبيات الماضية وفي مغزاها...

* * *

لكن الذي يمس من هذه الاصناف بصلة أكثر إلى ما يصطلح عليه اليوم باسم (الشيفرة) هو ما تصدى له بالدراسة والتطبيق سفير وأديب عراقي موصلي معروف هو أبو الحسن تاج الدين علي بن محمد بن عبد العزيز ابن الدريهم الذي يرجع له كبير الفضل في اقتحام الموضوع على نحو المنهاج والأسلوب المتعارف عليه تقريبا في العصور اللاحقة .

وابن الدريهم هذا سفير للملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، وعلاوة على مهامه السياسية كان باحثا كثير التصانيف ، وقد تردد على دمشق و القاهرة مرارا بصفته تاجرا ثم بعثه الناصر حسن رسولا عنه إلى ملك الحبشة... وقد أدركته الوفاة وهو يمارس مهمته الدبلوماسية عام 762 = 1361 .

كان من مؤلفاته « اقناع الحداق في أنواع الأوفاق » و « بسط الفوائد في حساب القواعد » و « إيقاظ المصيب في ما في الشطرنج من المناصب »(17) و « كنز الدرر في حروف أوائل السور ، وغاية الانحجاز في الأحاجي والألغاز »...

---

17) من مؤلفاته : كتاب منافع الحيوان ، مخطوط شيق المضمون ذو جمال أخاذ ، تمت دراسته تحت 17 عنوانا ! منها التقديم والتعريف ، ومنها علم الطبيعة عند العرب ، وفلسفة الجمال الاسلامية (مجلة الثقافة الاجنبية) ــ بغداد عدد 3 السنة الثانية خريف 1982 .

كان ابن الدريهم هذا — كما يظهر من مواضيع مؤلفاته — من المتضلعين في علم اللغة العربية العارفين بأسرارها بل ومن الذين ساهموا في تطويعها وتسخيرها للأغراض المستجدة...

ويظهر من خلال ما نقله عنه القلقشندي في « الصبح » أن ابن الدريهم كان ملمًّا أيضا ببعض اللغات التي كانت رائجة بمنطقته في القرن الثامن الهجري من أمثال اللغة المغولية والأرمنية والتركية والفارسية والعبرية والسريانية وحتى اليونانية والرومية والقبطية...

كما يظهر كذلك أن للرجل ناصية عريضة في اللغة العربية على نحو ما كان عليه حال الذين سبقوه ممن تكلموا حول استخراج المعمّيات أو المضمرات... فقد كان يتكلم عن تراكيبها وأوزانها ولكأنما يمارس الحديث عن أصابعه وحواسه !

لقد وصل بفضل ممارسته للغة العربية إلى قواعد ينبغي أن تظل نصب أعيننا ونحن نحاول أن نفرض على اللغة العربية ألفاظا تأباها أوزانها وطبيعتها... إنه يمنع أن يتكرر حرف في كلمة واحدة أكثر من خمس، كقول القائل : « مارأينا كُكًا كَكُكَكِكُمْ » جمع كُكَة : المركب الصغير(18) !

إنه لا توجد في كلام العرب كلمة رباعية الاصل وخماسية لا تحتوي على حرف من الحروف الذّلقية كاللام والنون والواو ، والشفوية كالفاء والميم والياء ... وليس في القرآن كلمة خماسية الاصل سوى الأسماء الاعجمية مثل إبراهيم...

إن في الحروف ما لا يجتمع بعضه مع بعض كالثاء المثلثة التي لا تجتمع مع الذال المعجمة والزاي المعجمة والسين والصاد المهملتين والضاد المعجمة(19) إلخ...

وابن الدريهم أيضا بفضل استقرائه للقرآن الذي يظل المرجع الأول للمسلمين صباح مساء... وصل دون ما حاجة « للكمبيوتر » إلى ما

---

18) يتساءل عن صلة هذه الكلمة بالكلمة الفرنسية : كوك (La coque) بمعنى الهيكل الخارجي للمركب.

19) الصبح 9 ، 235 — 236 .

وصل اليه المتقدمون من أمثال أبي هلال العسكري صاحب (ديوان المعاني) وأبي الحسين ابن وهب صاحب (الكتابة الباطنة) والكلاعي صاحب (أحكام صنعة الكلام)...

إن أكثر ما يقع في كلام العرب من الحروف هو الألف ثم اللام ثم الميم ثم الياء المثناة تحت ثم الواو ثم النون ثم الهاء ثم الراء المهملة ثم الفاء ثم القاف ثم الدال المهملة ثم المعجمة ثم اللام ألف ، ثم الحاء المهملة ، ثم الجيم ، ثم الصاد المهملة ثم المعجمة ، ثم الشين المعجمة ثم الضاد المعجمة ثم الزاي المعجمة ثم الثاء المثلثة ثم الطاء المهملة ثم الغين المعجمة ثم الظاء المعجمة...

وابن الدريهم بعد هذا واسع الافق نيّر المدرك لا يقفل باب الاجتهاد عليك فيما أنت اليه مضطر من تجاوزات في إنشاءاتك وتحريراتك . والسفير ابن الدريهم يشترط طبعا للذين يتولون « حلّ المترجمات » أن يكونوا مستوعبين جدا للغة التي ركّب عليها الكلام المعمّى[20]...

وبما عهد فيه من تمرّن عميق فإنه قدم إلينا نماذج ما يمكن أن يصطلح عليها الانسان لتركيب « شفرته » !

ففي الناس من يصطلح على إبدال حرف معين بحرف آخر معين على نحو ما يوجد في القلم القُمّي (نسبة الى مدينة قُم — ايران) وهو أنهم جعلوا مكان كل حرف من حروف العربية حرفا اخر من حروفها فجعلوا مكان الكاف ميما وبالعكس والالف واوا والعكس والدال المهملة راء مهملة والعكس والسين المهملة عينا مهملة وبالعكس والفاء ياء مثناة تحتية وبالعكس...

وفي الناس من يعكس حروف الكلمة فيجعل الأول آخرا ويكتب محمد مثلا هكذا : دمحم ...

وفي الناس من يبدل الحرف الاول من الكلمة بثانيه مطلقا في سائر الكلام فيكتب محمد : حمدم .

---

20) صبح الاعشى 9 ، 231 — 235 — 239 — 240 .

وفيهم من يبدل الحروف بأرقامها في حساب أبجد فيكتب محمد هكذا : 4.40.8.40 نظرا لكون الميم تعادل أربعين والحاء تعادل ثمانية والدال يعادل تلك الأرقام ، وهو أبلغ في التعمية...فيكتب محمد « لي — بو — لي — أج » فإن اللام والياء تعادل أربعين وهي عدد ما للميم الاولى ، والباء والواو بثمانية وهي عدد ما للحاء ، واللام والياء أيضا بأربعين وهي عدد ما للدال ، فكأنه قال : محمّد...

على أن في الناس — يقول الدبلوماسي ابن الدريهم — من يصطلح على التعبير عن الحرف باسم رجل أو غيره .

وفيهم من يعبّر عن الحروف الابجدية — وعددها ثمانية وعشرون — بمنازل القمر الثمانية والعشرين على ترتيبها على حروف أبجد...فيصطلحون على كتابة الالف بوضع كلمة الشرطين والباء بكلمة البطين والجيم للثريا... وهكذا الى آخرها .

وربما اصطلح بعضهم على ترتيب الحروف الابجدية على أسماء البلدان أو الفواكه أو الأشجار أو صور الطير وغيره من الحيوانات .

ولكن ابن الدريهم بعد كل هذه النماذج يذكر أن معظم المهتمين بهذا الفن يقومون باختراع أشكال خاصة من عندهم يتخذونها عوض حروف المعجم... والمتقدمون على كتابة الحرف المشدّد حرفين...

ولابد أن يفصل بين كل كلمتين إما بخط أو بنقط أو دائرة أو بياض أو غير ذلك .

وهنا يأتي القلقشندي بنموذج لاشكال اخترعت لتوضع في موازاة الحروف الهجائية التسعة والعشرين (بإضافة لام ألف) حتى تركب منها الرسالة المنويّ « تشفيرها » على هذا النحو :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

وقد قال عن هذا النموذج إنه وصل الى الأبواب السلطانية من بعض المناصحين في بغداد حتى يقاس عليه...

ثم قدم لنا السفير ابن الدريهم قواعد لحل « القطع المشفرة » بناء على استقراءاته التي أشرنا اليها...

ابدَأ بعدّ الحروف وكم تكرر كل شكل منها مرة... تنظر أكثر الحروف رواجا في القطعة... فاذا رأيت حرفا قد وقع في الكلام أكثر من سائر الحروف فتظن أنه الألف ثم الاكثر وقوعا بعده فتظن أنه اللام...ثم تنظر إن كان في الكلام حرف مفرد فتظن أنه اللام ألف... واذا رأيت حرفا قد تقدم الالف واللام في أول الكلمة فتظن أنه إما باء واحدة وإما فاء وإما كاف تشبيه .

ويحرص ابن الدريهم على أن ندرّب المبتدئين الذين نهيئهم للمخاطبات السرية على قطع شعرية لما أن الوزن يساعد على ظهور بعض الحروف كهاء التأنيث وتاء التأنيث الساكنة وتاء المتكلم إلخ...

وبعد هذا يقدم لنا صورة لقطعة « مشفرة » على هذا النحو :

ويطلب الينا بادىء ذي بدء أن نرقم تحت كل شكل من هذه الاشكال كم تكرر من مرة ، على هذا المثال :

وينتهي بعد حلّ الشيفرة الى هذه القطعة :

صُدَّ عني فلا تُلُمْ يا عذولي لست أسلو هواه حتى الممات

لا تقل قد أسا ، ففي الوجه منه حسناتٌ يذهبن بالسيئات

هذا البيان لمصنف هذا الكتاب ، علي ابن الدريهم الموصلي .

وكأن السفير ابن الدريهم أراد أن يثبت في دهن المتدربين قواعده فضرب مثلا آخر على هذا النحو :

ويطلب الينا كما سلف أن نجعل تحت كل شكل عدد المرات التي تكرر فيها ويأخذ بيد الطالب يضع أصابعه على الاشكال وأرقامها منتهيا به الى الوصول الى الكلمات الى أن تكتمل القطعة الثانية على هذا النحو :

٢٢ ٣ ٤٤ ١٧ ٩٤ ٩ ٦ ٩ ٧ ٩٤ ٧ ٩٤

١ ٢ ١ ١ ٢ ١ ٢ ١ ٢ ٩٤ ١ ١ ١

الحمد لله على ما ألهما   من الصواب وعلى ما علّما
ثم صلاة الله والسلام   على الذي ظلّله الغمام
محمد النبي خير من خلق   أفصح من بالضاد في اللفظ نطق
وآله معدن كل علم   وصحبه أولي النهى والفهم

وإن من تمام المخاطبات السرية الصنف الذي يتم عبر الرموز والاشارات كما أشرنا سابقا...

وفي هذا المعنى أيضا ما حكاه شهاب الدين أحمد بن يحيى ابن فضل الله العمري المتوفى سنة 749 = 1349 في كتاب : « التعريف بالمصطلح الشريف » وهو كتاب في مراسم الملك وما يتعلق به(21) .

قال في معرض المراسلات التي كانت تجري بين الادفونش ملك الفرنج في طليطلة من بلاد الاندلس وبين الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية : إن الأول أرسل مرة الى ملك مصر هدية فيها سيف وثوب بندقي وطارقة مستطيلة تشبه النعش كأنه يقول :

21) يعتبر شهاب الدين إماما في الترسل والانشاء عارفا بأخبار عصره غزير المعرفة في التاريخ ولا سيما تاريخ ملوك المغول من عهد جنكيز خان الى عصره ، له طائفة من المؤلفات الهامة ومن أجل كتبه : مسالك الابصار في ممالك الامصار . وهو الذي يعنيه القلقشندي بقوله : « المقر الشهابي » راجع : صبح الاعشى 9 ، 250 .

أفتك بك بهذا السيف، وأكفنك في هذا الثوب ، وأحملك على هذا النعش ! قال : وكان الجواب أن أرسل اليه ملك مصر حبلا أسود وحجرا ، أي أنه كلب يُرْمى بهذا الحجر أو يربط في هذا الحبل..!

وقد أبى القلقشندي إلا أن يورد بعض ما وقع في زمانه أثناء حكم الملك الظاهر سيف الدين برقوق (784 ـ 801 = 1382 ـ 1399) بينما كان تيمورلنك يومئذ ببلاد العراق يغاور الممالك الشامية لقصد الاستيلاء عليها ، فقد ورد على الملك الظاهر كتاب من المملكة الحلبية فيه ما يلي :

« إنه وقع بتلك البلاد سيل عظيم ساق جملة من الأسد والنمورة والحيّات ، وأنه دفع حية عظيمة سعة رأسها بقدر قوس ».

وقد قرئ الكتاب بحضرة السلطان وحملوا ذلك على ظاهره : من أن المراد حقيقة السيل، وأنه لقوته ساق بتلك الحية والسباع وغيرها وشاع ذلك بين الكافة من الأمراء وأهل الدولة وسائر الرعية ومضى الأمر على ذلك ، ثم ظهر أن المقصود بذلك السيل وما فيه هو تيمورلنك وعساكره ، وأنه كنى بالحية العظيمة عنه نفسه وبالسباع والحيات عن عساكره !

وقد أتى القلقشندي بإشارة أخرى وقعت هذه المرة بين بلاد المغرب والمشرق ، وذلك عندما ورد على السلطان الملك الناصر... فرج برقوق (801 ـ 815 = 1399 ـ 1412) في أواخر دولته كتاب من السلطان أبي فارس عبد العزيز ابن أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر من بني حفص (796 ـ 837 = 1374 ـ 1433) الذين استبدوا بإفريقية (تونس) كان ـ فيما يبدو ـ من إنشاء رئيس القلم والانشاء بالدولة أبي عبد الله محمد بن أبي عبد الله القلشاني .

وردت في اخر الكتاب هذه العبارة : « وعلى إحسانكم المعول وبيت الطغرائي في لامية العجم لا يُتأول » .

وهنا توجه بالسؤال أحد أعيان ديوان الانشاء الى القلقشندي عن المراد من ذلك ، ولم يكن الكتاب متضمنا لغير الوصية على الحجاج

المغاربة ، وكان ركب المغاربة قبل تلك الحجة قد عرض لهم عارض من عرب درب الحجاز اجتاحوهم فيه ، وقتلوا منهم خلقا كبيرا ، ونهبوا منهم أموالا جمة..

قال القلقشندي : فعرضت ذلك على أبيات اللامية ، فلاح لي أنه يشير الى قوله فيه :

فقلت أرجوك للجلّى لتنصرني وأنت تخذلني في الحادث الجلل

يعني : إنني كنت أرجوك للأمور العظام لتنصرني فخذلتني في هذا الأمر البسيط وهو الأخذ بثأر حجاج بلادي ممّن اعتدَى عليهم من عرب بلادك فخاب ظني فيما كنت أرجوه فيك وأؤمله منك...

وإن ما يروى عن الاشارة بالكلمات والكناية بالعطايا المرسلات مما يدخل في إطار ما نسميه اليوم بحرب البلاغات .

ولابد أننا نذكر في أثناء الأزمة التي كانت تجتازها علاقات المملكة المغربية مع مملكة سُنْغاي أواخر القرن الهجري (998 = 1590) ، حدث أن بعث السلطان أحمد المنصور الذهبي الى السلطان إسحاق الثاني ببعثة دبلوماسية تقترح على ملك سنغاي أن لا يشذ عن الجماعة ، سيما وقد ذكر أن جدّ آل عكسية ينحدر من ابن ذي يزن أول من آمن برسول الله ﷺ...

وقد أجاب إسحاق بخطاب على غير ما كان ينتظره المنصور بل إنه أرسل له مع ذلك هدية ترمز الى المنازلة : حراب تستعمل عادة في حروب الادغال ونعلان من حديد إشارة الى القيد..! لقد فهمت هذه الهدايا في هذه الظروف على أنها دعوة الى الحرب !

ومثل هذه المراشقات كثير في باب المراسلات...وقد أهدى عاهل مغربي بهيمة الى ملكة من ملوك أوربا في أعقاب تصرف منها إزاء المغرب اعتبره سلطان المغرب تقصيرا يستحق أن يجاب عنه بمثل تلك الهدية..!

وعلى عكس هذا سجل تاريخ المغرب الدبلوماسي تبادل هدايا من أنواع أخرى تعبر عن قمة في التعبير الرمزي عن التقدير المتبادل ويتعلق الأمر بتهادي الصقور والخيول والأسود...

وإذا ما تجاوزنا الحديث عن هذين الصنفين من أصناف المخاطبات السرية ، وجدنا أنفسنا أمام صنف ثالث لا يقلّ طرافة وأهمية عن الصنفين السابقين .

ويتعلق الأمر بكتمان السر عن طريق المادة المكتوب بها بمعنى أن يحرر الخطاب بمادة لا تظهر في الحال فإذا وصل الى الشخص المكتوب إليه ، فعل فيه فعلا يكون مقررا بين المتكاتبين من القاء مادة على الكتابة أو مسحها بشيء أو تقريبها من النار أو نحو ذلك .

وقد أدركنا ــ وربما كان ذلك لا يزال موجودا في بعض جهات المغرب ــ بعض المشعوذين يدّعون أنهم من مريدي سيدي رحّال... يحضرون ورقات يعرضونها على زبنائهم بيضاء ثم يسلمونهم إياها ليلصقوها بقلوبهم ويعيدوها الى « المشعوذ » الذي يوقد نارا ويقربها من الورقة وحينا تظهر حروفا مكتوبة... يقول عنها إنها تفسير لمصيرالزبون وما ينويه.. !

وقد ذكر صاحب (صبح الأعشى) لهذا « الصنف » طرقا عديدة :

منها أن يكتب في الورق بلبن حليب قد خلط به نوشادر(22) فإنه لا ترى فيه صورة الكتابة ، فإذا قرّب من النار ظهرت الكتابة ! ومنها يكتب في الورق أيضا بماء البصل المعتصر منه فلا ترى الكتابة ، فإذا قرّب من النار أيضا ظهرت الكتابة .

ومنها أنه يكتب فيما أريد من ورق أو غيره ، بماء قد خلط فيه زاج(23) فلا تظهر الكتابة ، فإذا مسح بماء قد خلط فيه العفص المدقوق ظهرت الكتابة !

ومنها أن يكتب في الورق غير المنشى بالشب(24) المحلول بماء المطر ، ثم يلقيه في الماء أو يمسحه فإذا جفّ ظهرت فيه الكتابة .

---

22) النوشادر (Sel ammoniac) مادة قلوية ذات طعم حاد (فارسية).
23) الزاج : (Sulfate de fer) ملح يستعمل في الصباغ والعامة تقول الجاز (فارسية).
24) الشب (Alun) ملح معدني قابض لونه أبيض ومنه أزرق وهو شبيه بالزاج .

ومنها أن يكتب بمرارة السلحفاة فإن الكتابة بها ترى في الليل ولا ترى في النهار على نحو ما هو عليه الحال فيما خط بالمواد الفوسفورية .

ومنها أن تأخذ الليمون الأسود وعروق الحنظل المقلوّة بزيت الزيتون جزأين متساويين وتسحقهما ناعما ثم تضيف اليهما دُهن صفار البيض وتكتب به على جسد من شئت فإنه ينبث الشعر مكان الكتابة، وهو من الاسرار العجيبة ، فاذا أريد إرسال شخص بكتاب الى مكان بعيد ، فعل به ذلك ، فانه اذا نبت الشعر قرئت الكتابة...

* * *

ويأخذنا العجب من المؤرخ الكبير ابن خلدون الذي أتى في مقدمته على معظم ما يتصل بديوان الرسائل والكتابة ولكنه أهمل هذا الجانب الهام الذي وجدنا ـــ لحسن الحظ ـــ معاصره القلقشندي يوليه من عنايته المعروفة ليس فقط فيما يتعلق بالشرق ولكن أيضا فيما يتعلق بالمغرب حيث قرأنا في (الصبح) أن كاتب السر في المغرب له كل يوم مثقالان من الذهب وله قريتان يتحصل له منهما متحصل جيد مع رسوم كثيرة له على البلاد ومنافع وإرفاقات ، ولكل واحد من كاتب السر وقاضي القضاة في كل سنة بغلة بسرجها ولجامها وسبنيّة قماش برسم كسوته كما للاشياخ .

وقد كان كاتب السر يقرأ الرقاع ويتناول مع السلطان الكلام في المهمات وربما اقتضت الحال مبيت كاتب السر فيبيت عنده .

وهكذا فالبرغم من إشادة ابن خلدون بضرورة كتمان السر وتطبيق المقاصد في الكتاب إلا أن مقدمتـه خلت من موضوع « التعمية » و « فك المعمّى » في إنشاء الرسائل...

وقد اهتم بعلم السيميا وأسرار الحروف وخصائصها وتقسيماتها كذلك .

وتحدث عن حساب النّيم الذي يعرف به الغالب من المغلوب في المتحاربين من الملوك... وهكذا زَايِرْجه أبي العباس السبتِي التي ولع بعض الناس بها لحل الرمز وكشف الغامض...وحتى الطّلسمات

وكتاب الجفر تناولها إلا أنه لم يعرج على أمر هذا النوع من المخاطبات الذي يدخل في إطار حديثه عن معالم الدولة(25)...

وإن مما نرى له صلة بهذا الموضوع ما أورده ابن خلدون بمناسبة أثناء حديثه عن حساب الجُمّل : أبجد ، هوز ...إلخ ... فلقد نقل عن كتاب (السير) لابن اسحاق في حديث ابني أخطب من أحبار اليهود ، وهما أبو ياسر وأخوه حيّ حين سمعا عن الأحرف المقطعة في القرآن الكريم « الم » وتأولاها على بيان المدة بالحساب (يعني حساب الجُمّل(26) : أبجد) فبلغت إحدى وسبعين ، فاستقلا المدة ، وجاء حيّ الى النبي ﷺ يسأله : هل مع هذا غيره ؟ فقال ﷺ : « المص » ثم استزاد « المر » فكانت إحدى وسبعين ومائتين فاستطال المدة ، وقال : لقد لبس علينا أمرنا يا محمد ! حتى لا ندري أقليلا أعطيت أم كثيرا... ثم ذهبوا عنه ، وقال لهم أبو ياسر : ما يدريكم لعله أعْطِيَ عددها كلها تسعمائة وأربع وستين ، قال ابن إسحاق : فنزل قوله تعالى : « منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات..»

وأوردت كل هذا عن مقدمة ابن خلدون لأنه ذكرني في مقولة ألحّ عليها أحد رجال العلم في النجف الاشرف (العراق) .

ويتعلق الأمر بالسيد أبي القاسم الموسوي الخوئي... وهو من العلماء المجتهدين الذين كان لي فضل التعرف عليهم أثناء مقامي بالعراق.

فلقد سألته ذات يوم عما يرجحه من الأقوال في فواتح بعض السور مثل « الم » « المص » « الر » « المر » إلخ... فأجاب بالحرف : إنه يعتبرها شيفرة بين الله ورسوله ! فسألته المزيد من الايضاح قال : إنك سفير وتعرف دور الشيفرة بين المرسل والرسول... وردد الآية الشريفة : « لا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول » .

---

25) ابن خلدون : المقدمة . طبعة دار الكتاب اللبناني ، 183 — 200 — 201 — 440 — 598 — 907.

26) حساب الجمّل يشمل مجموعتين في ديار المغرب من الأرقام المركبة بالحروف ، المجموعة الأولى : أبجد — هوز التي يشمل كل حرف منها رقما معينا تسمى : (الحمارة الصغيرة) أما المجموعة الثانية فتسمى (الحمارة الكبيرة) وهي عبارة عن جدول الضرب مؤلف من الحروف : ببد ، بجو إلخ ..الباء مضروبة في الباء 2 × 2 = الخارج الدال أربعة.. الباء مضروبة في الجيم = الخارج هو الواو أي ستة .

وقد أورد القاضي عبد الحق ابن عطية الاندلسي (تـ 546) في كتابه « المحرر والوجيز » عند تفسير قوله تعالى : « الر » قول ابن عباس وسالم بن عبد الله وابن جبير والشعبي أنّ « الر » و « حم » و « ن » هو الرحمن(27)...

وقد ظهر أن أبا القاسم الخوئي كان يرجح قولةً وردت عن ابن الجوزي في كتابه (زاد المسير في علم التفسير) تذكر أنها أي تلك الفواتح من الرمز الذي تستعمله العرب في كلامها يقول الرجل : هل تا؟ فيقول : بلى ! يريد هل تأتي ؟ فيكتفي بحرف من حروفه ، وأنشدوا :

قلنا لها قفي : فقالت قاف لاتحسبي أنا نسينا الايجاف

أراد قالت : أقف . ومثله :

نادوهم ألا الجموا ألا تا قالوا جميعا كلهم : ألا فا!

يريد ألا تركبون ؟ قال : بلى فاركبوا ، ومثله :

بالخير خيرات وان شراً فا ولا أريد الشر إلا أن تا

معناه وإن شرا فشر ولا أريد الشر إلا أن تشاء.

وهكذا تجلى من كل هذا أن المخاطبات بالرموز والاشارات من الأساليب التي دأب عليها الاستعمال العربي من قديم وأن لبعض المفسرين رأيا في أن القرآن الكريم يحتضن عددا من تلك الاشارات ضرورة أنه أي القرآن صيغ بأسلوب عربي على نحو ما يقرره ابن عاصم في أرجوزته الأصولية :

فهو على نهج كلام العرب فاسلك به سبيل ذاك تصب

ومن يرد فهم كلام الله بغيره اغترَّ بأصل واه..!

* * *

وإذا ما انتقلنا إلى موضوع استعمال (الشيفرة)في ديار المغرب فإننا سنجد أنفسنا أمام ومضات مضيئة تكشف لنا عن اهتمام الملوك المغاربة بأمر هذه المخاطبات التي كانوا يحتاجون إليها...

---

27) المحرر الوجيز : تحقيق المجلس العلمي بفاس — طبع وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، ج9 ص 4 . 1403 = 1982 ص 4 .

إن بلاد المغرب بحكم موقعها الجغرافي الذي جعلها على صلة بعدد من الممالك المطلة على حوض البحر المتوسط من جهة ، وجعلها على صلة مستمرة بالمشرق وممالك افريقيا...كل ذلك دفعها لاحكام أسس إنشاء الدولة...وفي صدر هذه الأسس تنظيم الاتصالات وإتقان طريقة المخاطبات بين الادارة المركزية وسائر ممثليها في أطراف البلاد...

وجدير بالذكر أن الحكام المغاربة لم يكن ليغيب عن ذهنهم أن بلادهم ـــ وموقعها على ما عرفنا ـــ مغبوطة بل محسودة وأنها نتيجة لذلك ستكون مقصدا للجواسيس الذين يلتقطون الاخبار ويتتبعون الهنات...

ولابد أننا شعرنا منذ ظهور الدولة الأولى في المغرب : دولة الأدارسة ما جدّ على الساحة المغربية من مؤامرات مدبرة ضد الملوك الأدارسة من أقصى البقاع... بل وما تبع ذلك من صراع مستمر بين دولة الفاطميين في افريقية وبين دولة الامويين في الاندلس من أجل الاستيلاء على أطراف المغرب والاجهاز على الدولة الفتية...

كل هذا كان حافزا على أن يفكر الحكام في ابتكار وسائل لهم خاصة للمخاطبات لا تدخل في إطار المخاطبات المعتادة،كما كان حافزا في المقابل لخصومهم على أن ينصبوا « كتبة مناصحين » لهم يساعدونهم على كشف المعميات ويبتكرون لهم بدورهم مناهج أخرى للمراسلات...

وإذا كانت المصادر التاريخية ما تزال تخذلنا في الوقوف على نماذج مفصلة من تلك الأساليب فلأن طبيعة الموضوع ذاتها كانت تقتضي الكتمان ما أمكن ، فقد كنت أتصور أن كل ملك كان يتخذ له طريقته الخاصة به تختفي باختفائه ، بل ربما كانت لكل حالة مفتاحها الذي يختار لها يحرق بمجرد انتهاء الحاجة له ولا يكتفى بتمزيقه خشية أن يتعلق غرض المتربصين بتلفيقه ... ومن هنا كان شعار كتاب للدولة هكذا :

« حرق ولا تمزق فإن العدو قد يلفق »..

ومع كل ذلك فلا تخلو مصادر التاريخ المغربي من إشارات تكشف عن اعتماد الملوك المغاربة أحيانا على لغتهم الخاصة ونحوهم الخاص!

وقد قرأنا للقاضي النعمان في كتابه المجالس والمسايرات : « أنه لما أزمع القائم بأمر الله (322 ـ 334 = 934 ـ 946) على الخروج أيام الصراع الفاطمي الأموي على ديار المغرب ، جمع أولاده وعلمهم كيف يمكنهم أن يفهموا ما يرد عليهم من مراسلات ، وقال لهم من جملة ما قال :

« وهذا قلم يتوارثه الايمة يكتبون به أسرارهم وبيانه وشرحه يكون عندكم ، فما كتب به إليكم عرفتموه ، وما أردتم ستره كاتبتموني به »(28)!..

فأين (البيان) وأين (الشرح) الذي يتعلق بذلك « القلم المتوارث » ؟ لاشك أنه تعرض للمصير الذي أشرنا إليه حتى لا يقع في يد الذين يستفيدون منه لأغراض سياسية...

ومن المعلوم أن حكم الفاطميين وصل منذ تاريخ 307 = 919 ـ 920 إلى قلب مدينة فاس حيث تركوا لهم في جامعها الأعظم (القرويين) بصمات لم ينسها التاريخ كان في صدرها المنبر الذي ترفع عليه كلمة الدولة الحاكمة .(29)

لاشك أن هناك في مقابلة « بيان وشرح » هؤلاء (بيانا وشروحا للآخرين) إن حرب المخاطبة بالاشارات ليست وليدة اليوم...

وتتحدث المصادر القديمة عن أن الأسقف جيربير الذي أصبح سيلفستر الثاني ـ والذي كما يقال ـ كان ممن رحلوا إلى فاس ونقلوا عن المغرب الأرقام التي تسميها الموسوعات العالمية (الأرقام العربية) ونسميها الأرقام الغبارية...

لقد كان هذا الأسقف يحتفظ بمذكرات (شيفرية) كتبت بحروف خاصة. (30)

---

28) (المجالس والمسايرات) نشر الجامعة التونسية (كلية الاداب عام 1978) بتحقيق الحبيب الفقي إبراهيم شبوح ـ محمد اليعلاوي ص 130 .

29) د. التازي : تاريخ جامعة القرويين ، 49 .

30) DAVID KAHN : La guerre des codes secrets p. 3

وإذا ما عرفنا عن سعة الرقعة التي كان يهيمن عليها المرابطون، وإذ عرفنا عن الوجود المرابطي في جنوب اوروبا واختلاطهم بعدد كبير من الصقالبة الذين انضموا للجيش بل وعرفنا عن توغلهم في تخوم القارة الافريقية وعن اتصالاتهم ببلاط العباسيين في بغداد ، ادركنا الحاجة إلى مثل هذا النوع من المخاطبات فيما بين القيادة وبين القواد...

لقد قرأنا عن المراسلات « الاشارية » وإذا شئت القول البرقيات الشيفرية التي طيرها السلطان يوسف ابن تاشفين إلى ألفونس...

ولقد قرأنا عن المراسلات المتوالية بين المرابطين والعباسيين الأمر الذي دعا الأمير علي بن يوسف ابن تاشفين إلى دعوة مالك بن وُهيب لتنظيم ندوة حول إمكانية توحيد مداخل الشهور والاعوام..!

ولابد أن يكون إلى جانب تلك الاتصالات المعروفة اتصالات أخرى تعتمد على الطرق الأخرى.

وقد كان من أطرف أشكال الاتصال اللاكتابي مادأبت على تناقله المصادر المغربية حول استعمال الطبول كوسيلة من وسائل الاعلام الخاص منذ عام 454 = 1062 [31]

وهكذا وجدنا أن الطبول بمقاييسها وأحجامها وبالدلالات الخاصة لنقراتها ونبراتها كانت تترجم على شكل آخر من أشكال المخاطبات السرية لا تقل عن المخاطبات المفتوحة بما تتوفر عليه من ضبط وإحكام كانا يقومان مقام النحو والصرف في الرسائل المكتوبة!

فهناك النقرة المنفردة ، والنقرات الثلاث المتوالية المتبوعة بنقرات مثلها متوالية تفيد جميعها إشارة معينة على نحو ما يؤديه « المُورْس » اليوم .. لقد سمعت الكثير حول هذا الموضوع من شيوخ عارفين في ديار شنقيط...

وهناك النقرة التي تدعو للنفير .. والنقرة التي تأذن بالاستراحة ... والتي تأذن بالحذر إلى آخر ما يتحدث به العارفون . [32]

---

31) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة. طبعة أولى ص 126 ــ طبعة ثانية ، بغداد . ص 119 .
32) د. التازي : دور المغرب في التقارب العربي الافريقي . العلم السياسي عدد غشت 1982 .

وقد تميز عهد الموحدين منذ البداية بظهور بعض الاشارات التي تؤكد وجود مثل هذه الطرق لتعمية الرسائل والخطابات ، وهكذا نجد أحد كتاب المهدي ابن تومرت ، (33) وكان يحمل اسم ملول بن إبراهيم ابن يحيى الصنهاجي معروفا باطلاعه على الالسن ، وكان يكتب بالسريانية والرموزيات وغير ذلك على حد تعبير البيذق ، وهي ظاهرة تدل على أن الدولة الموحدية كانت تستعمل التركيب السري في شؤونها مما لا تريد الاطلاع عليه من قبل الآخرين...

وكلنا يعرف عن التنافس المستعر الذي أمسى بين بغداد ومراكش بعد أن تقلد الموحدون الحكم عوض المرابطين .. فقد أصبح العباسيون — نتيجة لذلك — يتوفرون على آذان مرهفة لما يجري في مراكش بعد أن سحبت هذه اعترافها ببلاط بني العباس ، هنا نشطت بدون شك حركة الجواسيس ولجأ الكتاب إلى اختراع أقلام خاصة من السريانيات والرموزيات وإن لم نتوفر عليها تفصيلا لكنها بادية من خلال ما نقرأه من صراع حاد بين بلاط المغرب وبلاط المشرق...

وهكذا فإن « التعامل المكتوم » كان أوسع دائرة مما نعتقد ، وأنه لهذا السبب نعزو — نحن المغاربة — عدم الاعلان عن حجم المساعدات التي قدمها الخليفة المنصور الموحدي إلى السلطان صلاح الدين لما استنجد هذا بالأول بواسطة السفارة التي كان يرأسها الأمير ابن منقذ.

فلقد ظلت المصادر صامتة باستثناء بعض المؤلفات المغربية والمؤلفات المكتوبة باللغة التركية.

وفي إطار الحديث بالألغاز والرموز نجد في توقيعات الملوك الموحدين ما يعبر عن سعة خيال وقوة تفكير ، فقد كانوا يعبرون عن الكلام الطويل العريض بكلمة أشبه ما تكون ببرقية مختصرة : وكلنا يعرف جواب يعقوب المنصور عندما كتب إليه ألفونس في كتابه الشهير يستدعيه فيه للقتال ، لقد اقتصر جواب المنصور على هذه الكلمة : « الجواب ما ترى لا ما تسمع ».

---

33) تاريخ البيذق النص العربي ص 39 — 161 — 17 الترجمة الفرنسية ص 59 تعليق 4 . 1927 Hespéris ص 221 — 228 .

وقد شهد العهد الموحدي نظاما بديعا في ترتيب البريد حيث وجدناه يسن ظهيرا ملكيا بتاريخ 543 = 1148 — 1149 يحدد بمقتضاه واجبات ساعي البريد أو الرقاص كما يعرفه الاصطلاح المغربي[34].

لقد كان فيهم الرقاص العادي ورقاص الشرط أي ساعي البريد المستعجل ينقله بين أطراف البلاد على الخيل بمنتهى الأمانة والسرعة وقد كان صاحب البريد يجد في كل محطة حصانا مسرجا يمتطيه إلى المحطة القابلة...

لقد حدد القانون المشار اليه واجبات الرقاصين تحديدا دقيقا حتى لا يسيئوا استعمال نفوذهم...

ومن دون شك فقد سلك بنو مرين طريق أسلافهم أيضا في هذا الموضوع ولو أننا لا نتوفر إلى الآن على « السريانية » المتبعة في مثل هذه المخاطبات.

ومع ذلك فإن تخصيص المؤرخين الفصول الطويلة للحديث عن جهاز الكتابة في العهد المريني، يدل على أن الفروع المتعددة لهذا الجهاز كثرت حتى تسجلت أسماء عدد كبير من ألمع الكتاب من أمثال أبي محمد عبد المهيمن ابن الامام القاضي ابي عبد الله الحضرمي صاحب العلامة وكاتب السر وإمام الكتبة الذي عوضه الفقيه أبو القاسم ابن رضوان قبل أن يتولى ذلك أبو اسحاق إبراهيم ابن عبد الله ابن الحاج النميري صاحب فيض العباب (35) والكاتب التعالمي ابي العباس أحمد بن شعيب الذي كان اماما في التعاليم وواحدا في المعرفة بالأشجار والنبات .

---

34) الرقّاص : تجمع رقاصة أو الرقاقيص كما وجدت ذلك في بعض الرسائل والرقص في لسان العرب يعني نوعا من السير السريع...
ابن القطان : نظم الجمان تحقيق د. مكي ص 151. طبع المعهد الجامعي للبحث العلمي .

35) التازي : القنص بالصقر بين المشرق والمغرب . ص 23 طبع الرباط 1980 .

لقد خصص ابن مرزوق في كتابه (المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن) باباً بكامله لخطة الكتابة على هذا العهد...

ومن المهم أن نجد ابن مرزوق يتعمد في الفصل الأول من هذا الباب أن يذكر أن في صدر الكتاب الذين اشتغلوا مع النبي ﷺ زيدا بن ثابت الذي كان أمره ﷺ أن يتعلم اللغة السريانية ليجيب من كتب إليه بها...

إن تلك المجموعة من الكتاب لا يمكن أن تقتصر مهمتها على كتابة العلامة التقليدية : « وكتب في التاريخ المؤرخ به » ولكنها تتجاوز ذلك إلى ابتكار طرق خاصة للخطاب السري على نحو ما كان شائعا وذائعا في ذلك العهد ولو أن ابن خلدون ضل حول هذا الموضوع ، على ما قلناه آنفا ، على عكس زميله القلقشندي..

إن الكتابات بالرموز والأشكال تظل جانبا من جوانب ديوان الكتابة في دولة كل ملك من ملوك المغرب ، تتنوع وتزدهر وتتغير كذلك ، حسب الأشخاص والظروف ... وإذا لم يحتفظ لنا التاريخ ببعض آثارها فإن مرد ذلك للقلاقل وظروف الاضطراب...

ومما يدل على الاهتمام بتلك « التعميات » ما نلاحظه في العادة المغربية من التفرغ للتفاهم والتوسل أحيانا بحروف مركبة تكون أقرب الى « الطلاسم » منها إلى كلمات ذات معنى.

وقد اعتاد المثقفون المغاربة على أن يعثروا في المخطوطات القديمة على كلمة : « يا كَيْكَتَجَ » : ترسم في أول المخطوط وفي آخره كتعويذة أو تحويطة حتى لا تصل الأرضة إلى تلك المخطوطات ولا يسطو عليها السوس..!

يَاكَيْكَتَجَ

ومما شغل فكر المستشرقين الشهيرين لويس ماسينيون وماكس فان بيرشم تركيب هجائي على هذا الشكل:

لقد وجدا إلى جانب هذه الكلمات : « هذه الاحرف اسم الله الاعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ... » لكنهما توصلا في الأخير إلى أن ذلك التركيب ليس إلا تعبير (بسم الله) تفنن فيها أحد الصناع فجاءت كما ترى !!(36)

وقد رأينا أن بعض هواة ركوب الخيل يعمدون بدورهم إلى وشم جيادهم بأختام تحتوي على بعض الكلمات الرموزية مما تحدَّث عنه الناصري في كتابه « كامل الصناعتين : البيطرة والزردقة » (37)

ولا بد أن أشير هنا لما أثر عن « الخط الزناتي » وأفاعيله على نحو ما ذكر الشريف الادريسي في (نزهة المشتاق).

ولقد صدر عام 1526 م وبالذات في عهد الامبراطور شارلكان قانون يحرم على الموريسكيين التخاطب باللغة العربية ولكنه لم ينفذ بالصرامة القاسية إلا عندما خلف الملك فيليب الثاني والده شارلكان عام 1566 م حيث ظهر قانون يمنح المرسيكيون بمقتضاه مهلة ثلاثة أعوام لتعلم اللغة القشتالية حتى لا يتفاهم بغيرها فيما بعد!!...

هنا أخذ المستضعفون يسجلون آثارهم سرا ونشأ عن هذا ابتكار لغة جديدة كانت مزيجا من القشتالية وبعض الكلمات العربية والألفاظ الأعجمية الأخرى، وقد حملت هذه اللغة الموريسكية اسم ألخاميادو (AL JAMIADU) وهو تحريف لكلمة (الأعجمية) حيث لبثت سرا بعد نفي الموريسكيين عام 1609 إلى أن اكتشفت من لدن بعض العلماء الاسبان ضمن وثائق محاكم التحقيق ، واصبحت محل دراسة (38)

---

(36) WERNEZ Vycichl : La Correspondance entre Maxx Van Berchem et Louis Massigon, Leiden, Brill 1980 13-99 P. 101-102 .

(37) Le Naceri II, 276-277-278-279. أبو زيد عبد الرحمن الفاسي : الاقنوم (أرجوزة) مخطوطة بالخزانة العامة ... الدكتور التازي : الخيول المغربية

(38) د. لوي كاردياك : الموريسكيون والمسيحيون — تونس 1983 ص 72

وعندما ظهرت الدولة السعدية على منصة الحكم في البلاد عرفت هي الأخرى طريقتها الخاصة بها في الخطاب السري إلى جانب الخطابات المفتوحة...

وهكذا فقد أسعفتنا المصادر التاريخية بنصوص مطرفة في هذا الباب ، وكشف عن أن الشيفرة المخترعة لم تكن واحدة ، ولكنها كانت أشكالا وضروبا ، فهناك منها ما يختص بولي عهد المملكة ، وفيها ما يختص بالقيادة العليا وفيها ما يستعمل مع السلك الدبلوماسي ، وفيها ما كان يستخدم مع العمال على الاقاليم.

ولم تكن (الشيفرة) السعدية متأثرة باستعمال تركي او غيره ولكنها كانت من ابتكار سيد البلاد نفسه...

وسنورد هنا نص ما كتبه الوزير عبد العزيز الفشتالي في كتابه (مناهل الصفا) مما رددته سائر الكتب والمؤلفات التي اهتمت بتاريخ السعديين...قال :

« ولقد بلغ الاغراق به في مذاهب الحزم إلى أن اخترع لهذا العهد أشكالا من الخط على عدد حروف المعجم يكتب بها فيما لايريد الاطلاع عليه من أسراره ، ومهمات أموره وأخباره ، يمزج بها الخط المتعارف فيصير بذلك الكتاب ممتنعاً مستغلقا فلا يجد المطلع عليه بابا يدخل منه إلى فتح شيء من معاني الكتاب ، ولا الوصول إلى فهم سر من أسراره حتى لو تلف الكتاب أو سقط أوضاع أو وقع في يد عدو لاستؤمنت غوائل الاطلاع على أسراره فكان في ذلك آية أعجز بها الورى ».

«ثم نوع ـــ يتابع الفشتالي ـــ هذا الخط إلى أنواع يختص ولي عهده منها بنوع يرجع إليه في فك معمى كتبه. ثم إذا جهز أحدا بالعساكر إلى جهة أو بعثه في غرض رسالة أو قنده جانبا من أطراف ممالكه وثغوره ناوله خطا من تلك الخطوط يفك به رسائله إليه ، ويكتب به هو من عنده فيما يريد تعميته من الأخبار وخبايا الأسرار ، فختم بذلك أيده الله على أسراره ختما لا يفض بحدس ، ولا يدرك بمعنى ولا حس ، ولا يرسم حده بنوع ولا جنس ، وصارت هذه المنقبة من أعظم آثاره في الحزم وحسن الضبط ، ومن أشد أعوانه على الاضطلاع بأعباء سلطانه وشد أواخي ملكه واجباده ، وضبط أمور رعيته وبلاده... أمتع الله به الاسلام وخلد أمره مع الأيام..»

ونحو هذا منقول في (نزهة الحادي) [39] وفي معظم المؤلفات اللاحقة.. وقد نسبت الكتابة بالرموز على هذا العهد أيضا الى الكاتب عبد الواحد بن مسعود عنون ، رئيس البعثة الديبلوماسية التي كانت تتألف أيضا من الماسي والحاج ميمون والترجمان عبد الله بودار... حمّلها السلطان أحمد المنصور الذهبي رسالة سرية الى الملكة إليزابيت الاولى عام 1008 = 1600.

وهكذا فحسب الوثائق التي أوردها الكونط دوكاستري في موسوعته « مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب » المجلد الثاني (قسم انجلترا — السعديين) فان الاتصالات كانت جارية بين المغرب وانجلترا للتخطيط لانتزاع الممتلكات الاسبانية في الهند الشرقية (الفيليبين وما والاها) والهند الغربية (أمريكا اللاتينية)

لقد توجهت انجلترا — وهي على خبرة تامة بمقدرة المغرب على خوض غمار البحار وعلى معرفة تامة من شهامة الجندي المغربي وقدرته على التحمل — توجهت للخليفة المنصور من أجل مساعدتها على كسب موضع قدم هنا وهناك في مقابلة عروض مغرية كان في أبرزها اعطاء المغاربة مكاسب من الوجود الانجليزي هنا...

لقد شاطر المنصور السَّعْدي الملكة إليزابيت رأيها مخبرا إياها بأنه يتوفر على كل المعدّات اللازمة التي تمكن الدولتين معا من إضعاف اسبانيا وانتزاع ممتلكاتها في القارتين : الهندية والامريكية ويؤكد لها انه فتح مملكة قوية (سُنْغَاي) تحتوي على ستّ وثمانين ألف قرية وأن الجنود المغاربة في استطاعتهم أن يتحملوا المناخ الصّعب ...

ولقد أوقف السنيور سيرْديرا (CERDEIRA) الزميلَ الراحل جورج كولان على مخطوطةٍ تحتوي على ما يلي :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا [محمد].

كتابة الفقيه عبد الواحد بن مسعود عنون.

---

39) الافراني : نزهة الحادي ص 119 .

وجدت في براءة بخطه رمز فيها باخبار لمولانا أبي العباس أحمد المنصور المعروف عند بعضهم بالذهبي عن (أخبار) سلطانة النَّصارى دمرهم الله ببلاد الانديرس(Londres) في عام تسع وألف. وبقيت من حين وقوعها في يدي أتأمل في أشكالها زماناً بعد زمان وأتفاوض مع من وجدته أهلا لذلك من الاخوة ، فلم أر من فهم شيئا منها ولا تقدم معرفة بها الى أن مضى من الزمان نحو الخمس عشرة سنة أو أكثر ، وفتح الله سبحانه عليّ في فهمها من غير مُعلّم فعرفتها من أولها الى آخرها فاذا هي أشكال على ترتيب أبجد (40) كما ترى ولا...(41) الا ثلاثة حروف . كمل خبره المرموز دونها فرأيت أن أبقيها عن أصلها العربي مع بعض الخفاء أخفيتها به وهي الجيم والضاد والثاء المثلثة. وهذه صورة الجميع (42)

وهكذا نجد أن مخطوطة سيرْديرا تقدم لنا بعض المعلومات الثمينة فهي تؤكد وجود المخاطبات السرية على عهد المنصور السعدي ، كما انها من جهة أخرى تجعل للسفير عبد الواحد عنون نصيبا في استعمال هذه المخاطبات ولو أنه على كل حال نصيب يرجع الفضل فيه للسلطان أحمد المنصور... وأخيرا فان الوثيقة ــ وهذا مهم ــ تقدم الينا شكل وقيمة العلامات المستعملة لتعمية الخطابات السرية..

ترى هل يمكن القيام بمقارنات ومفارقات بين مناهج السفير ابن الدريهم الذي سلف الحديث عنه وبين المنهاج الذي استعمله السفير عنون أثناء مهمته بالديار الاوربية ؟

---

40) القصد الى الترتيب المغربي لأبجد ، وهو يختلف ــ كما هو معلوم ــ عن الترتيب المشرقي ، فان المغربي على هذا النحو : أبجد ــ هوز ــ حطي ــ كلمن ــ صعفض ــ قرست ــ ثخذ ــ ظغش . بينما ترتيب أبجد في الترتيب المشرقي على هذا النحو: أبجد ــ حطي ــ كلمن ــ سعفص ــ قرشت ــ ثخذ ــ ضظغ وكذلك القول في الترتيب المغربي لحروف الهجاء الذي يختلف عنه في الترتيب المشرقي ، فهو بالمغربي : ا . ب . ت . ث . ج . ح . خ . د . ذ . ر . ز . ط . ظ . ك . ل . م . ن . ص . ض . ع . غ . ف . ق . س . ش . هـ . و . لا . ي . بينما الترتيب الهجائي عند المشارقة هكذا : ا . ب . ت . ث . ج . ح . خ . د . ذ . ر . ز . س . ش . ص . ض . ط . ظ . ع . غ . ف . ق . ك . ل . م . ن . هـ . و . لا . ي . ابن خلدون : المقدمة . طبع دار الكتاب اللبناني ص 200 ــ 201 ــ 907 . القلقشندي : صبح الاعشى 3 ، 22 ــ 23 .

41) خرم في الورقة ، وكأن المحذوف هذه الكلمة : (تخفى) أي لا تخفى الا ثلاثة أحرف .

42) Hespéris 1927 P. 221 221

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد

كتابة الفقيه عبد الواحد بن مسعود عنون
وجدت في براءة بخطه رمزية بالأخبار للمولى
بلا اب الخيار من لعهد المنصور المعروف عند
بعضهم بالذهبي عن سلطانة النصارى
من الله ببلاده دمارها ربيع في عام تسع
والف وبقيت من جملة وقعها في يد اتشكل
في اشكالها زمانا بعد زمان اتبعا وضع
من وجعه ته اهل الزال من الاخون فلم ارى من يهم شيء
منها ولا تعرف معرفة بها الى ان مضى الزمان نحو الخمس
عشر سنة او اكثر وفتح الله سبحانه علي في فهمها من غير معلم
فعرفتها من اولها الى اخرها فاذا هي اشكال على
ترتيب ابجد كما ترى ولا فيها الا ثلاث احروف
لم تحتج المهموزة ونحا فرايت ان نبقيها على اصلها
العربي مع بعض الخفاء اختبنه به وهي الجيم
والضاد والثا المثلثة وصفنا صورة الجميع

وعلى هامش سفارة عنون نذكر حقيقة أخرى لها صلة بالسريَّة التي كانت تطبع الدبلوماسية المغربية :

لقد نجح السلطان أحمد المنصور الذهبي آنذاك في أن يضلّل الرأي العام الدولي بالرغم من عصابات الجواسيس وخاصة من اسبانيا التي كانت تتلقط الاخبار داخل المغرب وخارجه

لقد أشاع السلطان المنصور الذهبي أنه بعث سفيره عنون الى ميناء الاسكندرونة في حلب : الشام ، للحصول على تشكيلة من الأحجار الكريمة! وان البعثة انما اتخذت طريقها عبْر انجلترا لتحصل على مساعدة الملكة إليزابيت بتيسير المركب المناسب لتحقيق هذه الرغبة!

فعلاً حررت رسالة أولى من المنصور الى الملكة بتاريخ 12 رمضان 1008 = 27 مارس 1600

«...والذي أوجب لمكانك المكين أنه سيرد على مملكتك خدامنا حملة هذا الكتاب الكريم ، الذين وجهناهم إلى حلب لقضاء بعض مئاربنا...»

وبعد مفاوضات تمهيدية في مراكش بين الدولة وبين ممثل انجلترا ، حررت رسالة أخرى بتاريخ 3 ذي الحجة 1008 = 25 يونيو 1600.

وقد بعث ديمارشينا (Démarchéna) السفير الاسباني بالمغرب يخبر مملكته بتاريخ أول شتنبر 1600 بأن العاهل المغربي بعث سفيراً مغربياً الى الشام عبر لندن لشراء اللؤلؤ..!

لقد أبلغ الدبلوماسيون المغاربة وبصفة بالغة السرية النوايا الحقيقية لملك المغرب حسبما تكشف عنه المذكرة التي أعدتها الحكومة الانجليزية في هذا الصدد بتاريخ 23 شتنبر 1600

وحسب المصادر التاريخية فان السفير عنون ظل يكاتب المنصور السعدي طيلة الشهور التي قضاها في لندن ، وظل يحرر مذكراته حول مهمته ، ليس عن طريق الاسلوب المعتاد المقروء ولكن بواسطة «الاشكال السرية»

ومن الطريف أن نجد ملكة انجلترا تتجاوب مع ملك المغرب حول تعْتيم أخبار هذه السفارة الخطيرة ، وهكذا وجدناها «تعتذر» الى المنصور كتابة عن عدم تمكنها من تزويد سفيره بالمركب نظرا لموانع خطيرة على حدّ تعبير الرسالة.

وأطْرَفُ من هذا أن نجد المنصور ـــ بعد عودة سفارته الى المغرب ـــ يجيب إليزابيت بخطاب خاص بتاريخ 23 شعبان 1009 = 27 يبراير 1661 يعرب فيه عن شكره للاستقبال الذي خصص لسفيره ، بل ويقبل «العذر» الذي أدلت به جلالة الملكة..! (43)

وقد استعملت الدولة العلوية منذ بداية ظهورها الاشكال السرية لتنفيذ خططها ومناهجها .

وهكذا نجد رسالة من الحاكم التركي أحمد عصمان باشا بالجزائر الى السلطان سيدي محمد بن مولاي الشريف (محمد الاول) تشير الى اعتماد العاهل المغربي على مثل تلك الرموز التي لا تختلف ـــ في نظر الحاكم التركي ـــ عن تأليف البَوْني : الانماط (44)

واذا عرفنا أن الباعث على إهمال المغاربة لكتابة تاريخهم يرجع ـــ في نظر بعض المؤلفين ـــ الى عدم رضاهم على نبش أخبار الناس ، فان هذا الباعث يقوى ويزداد وضوحا عندما نجدهم أي المغاربة يهملون الاحتفاظ بالاخبار ذات الطابع الذي يعتبر بذاته غير قابل للاشاعة..

وهكذا فالبرغم من أننا نلاحظ في بعض المراسلات الحكومية مؤشرات تلك المخاطبات السرية إلا أننا للسبب الذي أسلفنا لم نقف على مفاتيح تركيب تلك المخاطبات وخاصة في العهد الاول من الدولة العلوية...

وقد كنا نلاحظ أثناء استعراضنا لبعض الرسائل المخزنية ما ينصُّ على طابع السرية بل ودرجتها كذلك : سري ـــ سري للغاية...

ولاحظنا هذا بالنسبة لفصول بعض المعاهدات التي اتفق على أن تبقى سرًا بين الدولتين ... هذا الى ما دأب المغاربة على استعماله مما يدخل في اطار «التعميات» من رسم الارقام بالخطّ الفاسي أو القلم الرومي (45)

---

43) لعل من الفكاهة أن نذكر هنا أن بعض المعلقين ذهب به الوهم الى القول بأن مهمة عبون بالشام كانت [illegible] «[illegible]» [illegible] !!

44) ابن خلدون : المقدمة ، طبعة لبنان ص 907 ـــ 909 ـــ 911 .

45) سكيرج : ارشاد المتعلم والناسي في صفة اشكال القلم الفاسي ; Hesp. 1932 P. 87

الخطُّ الفاسيّ أو القلم الرّوميّ

ى	كل	7	6	[illegible]	[illegible]	[illegible]	—	[illegible]	الخطّ الفاسيّ	الآحاد
9	8	7	6	5	4	3	2	1	القيمة العدديّة	

لمح	سا	ہ	صح	لمى	سعى	لے	سا	ے	الخطّ الفاسيّ	العشرات
90	80	70	60	50	40	30	20	10	القيمة العدديّة	

[illegible]	وّ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ى	ص	الخطّ الفاسيّ	المئين
900	800	700	600	500	400	300	200	100	القيمة العدديّة	

ى	كل	7	6	[illegible]	[illegible]	[illegible]	=	[illegible]	الخطّ الفاسيّ	آحاد الألوف
9...	8...	7...	6...	5...	4...	3...	2...	1000	القيمة العدديّة	
لمح	سا	ہ	صح	لمى	سعى	لے	سا	ے	الخطّ الفاسيّ	عشرات الألوف
90...	80...	70...	60...	50...	40...	30...	20...	10000	القيمة العدديّة	
[illegible]	وّ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ى	ص	الخطّ الفاسيّ	مئات الألوف
900...	800...	700...	600...	500...	400...	300...	200...	100...	القيمة العدديّة	

[illegible]	كمر	حمر	[illegible]	عمر	صر	[illegible]	[illegible]	لمر	الخطّ الفاسيّ	الكسور
9	8	7	6	5	4	3	2	1	القيمة العدديّة	

نقلا له عن الكتابة الاغريقية القديمة وذلك عند قسمة الميراث أو في بعض حجج الوقف المعروفة في المغرب تحت اسم «الحوالات الحبسيَّة».

لقد ابتكروا هذه واستعملوها لهدفين اثنين : أولا الاختصار بحيث يمكن تقليص مساحة الورق لاجمال ما تحصّل في شكل أو شكلين على نحو ما نجده اليوم في السطينوغرافي (Stynographie) ثانيا : تعمّد تعمية الاسرار على العامة في الميراث.

حمل هذا الخط اسم «الخط الفاسي» لأنه كاد يكون استعماله مقتصرا على هذه المنطقة ومن اتصل بها في المغرب وليس القصد الى أن أهل فاس هم الذين اخترعوه ، فلقد استعاروه كما قلنا من الكتابات الاغريقية القديمة .

وعلى نحو ما سلف في بعض الرسائل من الاشارة لبيت للطغرائي المتعلق بمعنى بعيد ، وجدنا بعض الرسائل في عهد العلويين تحتوي على بعض الاشارات لبيت شعري ذائع على ما وجدنا في رسالة أمين الامناء التازي الى الأمين الطريس بتاريخ 6 شوال 1294 = 14 ـــ أكتوبر 1877 يشير له فيها لبيت الطغرائي :

قد رشحُــوك لأمــرٍ لو فطــنت له
فاربأ بنـفسك أن تَرْعَـى مَعَ الهمـل!(46)

ومما ينتظم في سلك الامور السرية والرموز المغلقة أن نجد الجواب عن الرسائل يُحيل في معظم الحالات على عناصر الرسالة من غير أن يفصح الجواب عن مضمون الرسالة ويُعطي تعليمات هي أيضا من قبيل المعميات بالنسبة لمن لم يمارس الحديث منذ البداية .

وعلى نحو ما قرأناه عن الظروف التي تمت فيها سفارة عنون أيام دولة السعديين ، قرأنا أيام الدولة العلوية عن احاطة وجهة السفارة بسياج

---

46) يلاحظ ان مثل هذه الرموز اقتحمت كذلك الشعر الملحون فقد سمعنا عن بعض قصائد الشيخ المدغري ، وخاصة منها قصيدته (فارحة) التي وصف فيها محاسن محبوبته عضوا عضوا الى أن يقول : «وعن المخفّى سل الونان» أي وعن العضو الخفي منها ! اسأل قصيدة ابن الونان ، يعني التي يصف فيها ذلك (المخفّى) بأنه «قعب فضة» :

حقـــان من عاج وقـــعب فضة ثلاثـــة مثـــل الاثافـــي في الرقـــى!

سميك من الكتمان : «وليكن ذلك على وجه السرّ والكتمان بحيث لا يعلم أحد بتوجّه السفير ، ولا بالمحل الذي توجه اليه» على نحو ما نرى في التعليمات الصادرة الى النائب السلطاني في طنجة .

وقد قرأنا في أيام الدولة العلوية عن رسائل تتحدث عما «أخبر به السفير دولته سرًّا حول ما تكلمنا به مع النائب سرًّا مما أخبر به السلطان سرًّا»

كما يندرج في باب المخاطبات والرموزيات ما عرفناه من «كلمات السر» التي كان يتفق عليها في بعض الاحيان على نحو ما رأينا في اتخاذ كلمة «سالم» كرمز سرّي في بعض المعارك المغربية ضد التمرد ، وقد كان لفظ «الغلاء» في بعض الظروف دلالة على (خذ حذرك) ، وكلمة «الرخاء» دلالة على الأمن والاطمئنان .

وقد عثر في أحد مخازن القصر الملكي بمراكش عند بداية هذا القرن العشرين ، على رصيد هام من العملة الاجنبية كانت محفوظة في حُجرة كتبت عليها منذ القرن التاسع عشر هذه العبارة : «بيْت الكبريت على نية الجهاد» وكان الناس يعتقدون أن الحجرة تحتوي فعلا على أكياس من الكبريت لكن اتضح أنها أكياس من «العملات الاجنبية» التي كانت ترجع لأواسط القرن الثامن عشر : عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) والتي كانت مدَّخرة للايام العصيبة التي يضطر فيها المغرب لشراء السلاح واتضح أن كلمة « الكبريت » انما كانت كلمة سرًّا تعني ما قلناه...



الوثيقة المغربية

وقد احتفظت خزائن بعض الموظفين السامين الذين انتظموا في سلك الدولة منذ النصف الثاني من القرن الماضي ، احتفظت بوثيقة طريفة تتعلق بموضوع المخاطبات السرية... وهي تعكس — دون شك — بعض الصورة التي يمكن أن نتخيلها لمناهج المخاطبات بالاشكال والرموز في الفترات الماضية... وقد ندَّت عن نقيب الدولة ومؤرخها مولاي عبد الرحمن ابن زيدان الذي قدم لنا صورة مشرقة عن معالم الدولة في كتابه *(العز والصولة)*.

والحديث عن الوثيقة التي بين أيدينا يستدعي منا أن نتناول عددا من العناصر الضرورية لالقاء الضوء على هذا «المفتاح».

فأولا : مصدرها... وثانيا : تحديد وقت كتابتها...وثالثاً : مكانها من الطرق الأخرى للكتابة السرية...ورابعا : مضمونها. وهذا العنصر سيستدعي منا الحديث عن طائفة من النقاط التي تتصل بالوضع السياسي والاجتماعي للبلاد وكذلك الخريطة السياسية للمغرب وبقية جهات العالم من الامم والممالك التي كان للمغرب اتصال بها من قريب أو بعيد.

فأولا أهميتها من حيث إنها تقدم لنا المملكة المغربية وهي على وشك أن تستسلم أمام المؤامرات الدولية وتقبل التوقيع على معاهدة الحماية الفرنسية ، تقدم لنا هذه المملكة وهي تتمتع بسائر مقومات الدولة على خلاف ما كان الاستعمار يقوله من أن المغرب كان فراغا..!

لقد كانت الوثيقة دليلا ناطقا على أن المغرب — وهو على عتبة الحماية — كان مثلا للدولة الكاملة بمليكه ووزرائه وخلائفه وحاجبه وقائد مشوره وكتابه وتشريفات الأسرة المالكة وما يتصل بها وبالموظفين السامين : قضاة وفقهاء وقواد ومحتسبين ونظار ونقباء وأمناء ووكلاء وسفراء وسائر طبقات المجتمع...

كان مثلا للدولة الكاملة بما يتوفر عليه من جهاز للخارجية يتمتع بقانون مالي واداري وبموظفين أكفاء...

والى الجانب الدبلوماسي كان المغرب من الناحية العسكرية يتوفر على تنظيم بالغ العناية ، فهنا رئيس الحدود الصحراوية والحدود الشرقية والحدود الغربية ، وهنا كبير المحلة وسائر أنواع الجند من طبجية وخيالة ومدربين ومهندسين علاوة على الاسلحة والمواد الحية من مدافع ورشاشات وديناميت وأجهزة للتنقل والتحرك عبر أطراف البلاد...

كان المغرب مثلا للدولة الكاملة بما يتوفر عليه من نظام مالي يحاول أن يواكب الانظمة العالمية الحديثة بما عرفه من عملات من شتى جهات الدنيا وبما عرفه من أنواع النقد ومختلف المعاملات...

كان مثلا للدولة الكاملة بما توفر عليه من نظام دقيق في سير البلاط وتوزيع الوظائف على أهلها حسب الاختصاص سواء أكان العاهل مقيما في المدن أو على سفر...إن الدولة هي هي ، سواء أكان الملك على كرسي حكمه أو على مطية جواده.

وهنا سنقف على المواد التي كانت تصحب الركب الملكي حيثما تحرك وأينما توجه وكأنه مدينة مستقلة متنقلة بكل ما تحتوي عليه المدينة.

كان مثلا للدولة الكاملة بما عرفته أنظمة المواصلات بين المدن فيما بينها وبين المغرب وغيره من الدول كذلك ، فهنا سعاة البريد الذين يختصون باسم الرقاصة ، وقد كانوا مثلا في الضبط والأمانة علاوة على ما يتمتعون به من بنية قوية وتجربة متطورة.

كانت هذه الوثيقة بالنسبة إلينا دليلا جغرافيا صادقا وضع أصابعنا على المراكز والمدن الساحلية للمغرب في بداية هذا القرن فهي حجة ناطقة باننا لم نسلم اطلاقا في حدودنا الجنوبية والغربية بقدر ما كانت أمينة في أننا لم نتنازل بالنسبة لحدودنا الشمالية والشرقية..

وهكذا فهي تتحدث عن اقليم وادي الذهب وتعطيه ترتيبه بين الأقاليم الأخرى ، كما تعطي لرأس بوجدور وطرفاية وسنطاكروز (كويدر الرجيلة) أرقامها على نحو ما تفعل بسبتة ومليلية والغزوات ومغنية...

وكلنا يعلم عن مؤتمر برلين (نونبر 1884 — يبراير 1885) الذي أطلق اليد للدول الاستعمارية في الاقطار الافريقية... وكلنا أيضا يعلم عن جواب السلطان مولاي الحسن (الأول) عندما أقدمت اسبانيا — في إطار المخطط — على احتلال رأس بوجدور وأنشأت لها مراكز في الداخلة ووادي الذهب وقامت بتوزيع منشورها بتاريخ 26 دجنبر 1884... كان جوابه في الرسالة التي وجهها الى نائبه بطنجة بتاريخ 4 رمضان 1303 = 6 يونيه 1885 :

«أما وادي الذهب.. فإنه يوجد بناحية أولاد دليم وقبيلة تسمى بالعروسيين الذين هم بخدمتنا الشريفة النازلين بنواحي مراكش وفاس وتسمى عندهم بالداخلة» فأعلم الباشادور بذلك (الملحق الأول).

وكان السلطان مولاي الحسن قبل هذه الرسالة قام عام 1299 = 1882 برحلة بنفسه إلى هذه المناطق حيث أعطى أوامره من أجل صيانة مرسى أكلو ومرسى إيسيك ومرسى سيدي ورزيك ومرسى سيدي محمد بن عبد الله (1).

كما قام بابلاغ السلطات الاسبانية بأن (صانطاكروز) التي كانوا يلتمسون أن يجعلوها مملحة للسمك ، هي التي تحمل عندنا (كويدر الرجيلة) ولذا فمن الأفضل — حفاظا على الصداقة الاسبانية — أن يعوضوا عنها بمملحة أخرى في سيدي إيفني !

ترى أن الوثيقة أمينة في تثبيت مغربية تلك المناطق بالرغم من سياسة الامر الواقع التي كانت تنهجها الدول القوية ، وبالرغم من اتفاقية 27 يونيه 1900 بين ديلكاسي والسفير الاسباني كاستيو التي حددت بمقتضاها الممتلكات الفرنسية والاسبانية في إفريقية الغربية !!

لقد ظلت سياسة الامر الواقع مرفوضة من لدن الحكومة المغربية ولذلك نجد الوثيقة تتحدى سياسة السطو والغصب والتآمر والتناور...

1) التازي : الثغور المغربية المحتلة بين المواجهة المسلحة والتدخل الدبلوماسي ، الحلقة الرابعة والأخيرة ، مجلة البحث العلمي عدد 27 ، محرم 1397 = يناير 1977 . العلم السياسي . أبريل 1983 .

والوثيقة من خلال كل هذا دليل للذين يهتمون اليوم بمدلولات الاسماء الجغرافية (المواقعية — La toponymie) سواء على الصعيد الوطني أو المستوى الدولي ، فهو إذن سجل يعتبر من القواعد الاساسية للذين يرغبون في تدوين معلوماتهم بناءً على مراجع وثائقية...

الأمر الذي حدا بالوفد المغربي لدى المؤتمر العالمي الرابع لتنميط الاسماء الجغرافية (جنيف ، شتنبر 1982) أن يقدم هذه الوثيقة على أنها (سبق) في ميدان ضبط الأسماء الجغرافية عن طريق الرقم العربي (2)...

لقد سبقت المملكة المغربية ، بأكثر من نصف قرن ، الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية إلى التعامل بالأرقام والتوسُّل بواسطتها لابتكار ما يسمى بالمصطلح البريدي لمعرفة مواقع المدن (ZIP CODE) في أمريكا و (CEDEX) في فرنسا... وكذلك لابتكار ما يسمى الرقم الشخصي في بطاقات التعريف المستعملة اليوم في الدول السكندينافية (Magnétique) باعتبار أن الأرقام يمكن أن يستعين بها العقل الاليكتروني...

وعندما تنتقل الوثيقة لاعطائنا فكرة عن مختلف الدول التي كان للمغرب صلات بها واهتمام بحكامها ، تقدم إلينا عددا من العواصم التي تعطيها الوثيقة اسما أصيلا ظل إلى الآن يغزو حتى اللغات الأروبية ، إنه اسم (القصبات)التي تحتضن رأس الدولة ، لقد أتى بعدد من القصبات التي تمثل المناطق الخمس للقارة الافريقية ، وهكذا كان للمغرب في أوائل هذا القرن صلاته بالقسم الشرقي للقارة وكذا غربيها شمالها وجنوبها ووسطها...

ونفس الوضع بالنسبة لأصدقاء المغرب في قارة آسيا...من قصبات تركيا إلى قصبات بلاد العجم إلى أفغانستان إلى الهند إلى الصين الى اليابان .

وقد تجلى أن للمغرب معارفه وأصدقاءه الكثيرين كذلك في القارة الاروبية ، فنحن أمام زهاء عشرين دولة أروبية فيها انجلترا وسكوتلاندا

---

2) Conférence des Nations Unies sur la Normalisation des noms Géographiques (Geneve), 24 Aout 14 sept . 1982 .

وايرلاندا والبرتغال واسبانيا وفرنسا وبلجيكا وهولاندا وبروسيا أيام كانت بروسيا دولة على حدة...

هذا إلى القارة الأمريكية حيث نجد للمغرب أصدقاءه القدامى سواء في الولايات المتحدة الامريكية في الشمال أو فنزويلا والبرازيل في الجنوب.

والوثيقة من خلال كل هذا تصوير مفيد لجغرافية العالم السياسية في بداية هذا القرن عندما كان بعض الجهات الافريقية والاسيوية والاروبية تابعا لقوة بارزة من قوى العالم الأخرى ، وهكذا فإن المعلومات الجغرافية التي تحتويها الوثيقة معلومات مركزة...

وقبل أن تعطينا الوثيقة مفاتيح خطاباتها السرية تقدم لنا دليلا آخر على الظاهرة الصحية للمملكة تفند كل الادعاءات التي ترمينا بالعجز والخرف واليأس !

ويتعلق الأمر بلقب أمير الأسطول الذي كنا نراه أيضا في بداية هذا القرن بالرغم من التآمر الدولي في مؤتمر ايكس لا شابيل 30 شتنبر *1818*. *هذا إلى ذكر المركب الملكي الذي ظل إلى هذا الوقت يمخر* عباب المياه الاقليمية ويسهم في استرجاع بعض المراكز التي سطت عليها بعض الشركات الأجنبية...من غير أن تهمل الوثيقة تخصيص الجواسيس والخونة بشكل من أشكال الحروف اللاتينية، هو حرف (T) وكأنه يشير إلى (Traitre) وقد اختير هذا الشكل ليقابل حرف العين الذي ربما كان يقصد به (عين) بمعنى جاسوس !!

هنا ذكر (البوسطة) والتلغراف ، كذلك السكة الحديدية التي شعر المغرب بأهميتها في طليعة القرن العشرين..وهنا السلك الدبلوماسي المعتمد لدينا ، كل برتبته : المبعوثين الدبلوماسيين والسفراء العابرين والقناصل المعتمدين والنواب المساعدين.

أضف الى كل هذا الدور الكبرى التي تمثل بعض الشركات العالمية.. فيها هسنير (Haessner) الالمانية ودار كوتش (Gautsh) الفرنسية ودار برينطي (Bariente) الانجليزية ، ودار بن زويك ، (Braunshving) الفرنسية ، ودار ناهون (Nahon) الايطالية ، إن كل هذا كان يترجم عن مدى تفتح المغرب لقبول ما تجدد من أحداث على الساحة العالمية .

وبعد أن تقدم لنا الوثيقة شبه قاموس رتبت كلماته على الحروف الهجائية تتناول طرق التعبير عن تلك الكلمات بأرقام معينة.. وبعد أن تقدم لنا كذلك وسيلة للتعبير عن الحروف الهجائية ذاتها والتدليل على أيام الاسبوع ابتداء من يوم الاحد على أنه بداية للاسبوع ، كذلك الاشهر الاثنا عشر القمرية بداية من المحرم ، تقدم لنا في الصفحة الأخيرة نموذجا للتركيب السري للكلام ، لا يعتمد على الاتيان بأرقام معينة عوض كلمة ما من الكلمات ، ولكنه يعتمد على استبدال الحروف العربية بحروف لاتينية مختارة على أساس التعمية وبأرقام معينة في حالة استنفاد الحروف اللاتينية .

وهكذا فمنذ أيام السلطان مولاي عبد الملك السعدي (شهيد وقعة وادي المخازن) الذي كان يوقع أحيانا بحروف لاتينية (3) ، منذ ذلك التاريخ وجدنا اليوم ان الادارة المغربية تهيأت لاختيار الحروف العجمية — على الأقل — كوسيلة من وسائل التعمية والترميز ووسيلة من وسائل الفصل بين الارقام رغبة في زيادة الايضاح .

وهذا يكشف لنا عن جانب آخر من جوانب الصحوة المغربية التي تمثلت في الاقبال منذ بداية هذا القرن على تعلم اللغات الاجنبية وخاصة في طنجة العاصمة الدبلوماسية للمغرب ، ومن ثمت فإنني لا أعتبر أن هذه الوثيقة مجرد مفتاح للقراءات السرية ولكني أعتبرها «مؤلفا» يؤرخ لهذه المرحلة الدقيقة من تاريخ المغرب الاقصى .

فلقد لذ لبعض الاوروبيين أن يكتبوا عن هذه الفترة : العقد الاول من القرن العشرين — متقصدين جميعهم الى اثبات صورة واحدة ، وهي أن المغرب انتهى ! وأن تعثراته لم تكن وليدة تواطؤ المجموعة الدولية كلها على كيانه ، ولكنها وليدة أجهزته المركزية والادارية ، ولي‍دة تقوقعه وانطوائه... فجاءت هذه الوثيقة لتقدم المغرب كأتم ما تكون عليه الدولة.. قوة وتنظيما ومواكبة وتحضرا...

---

3) من الملاحظ أيام الدولة السعدية — وكانت متأثرة بالأتراك — أن بعض ملوكها كان يحاول — عبثا — حمل المواطنين المغاربة على استبدال الزي المغربي بالزي التركي ، كما نلاحظ أن بعض الكتاب في الدولة كانوا يشكلون الفاء بنقطة من فوق والقاف بنقطتين كذلك اقتداء بالطريقة المشرقية .

ولابد أن المارشال ليوطي(*) كان صادقا مع نفسه عندما كتب من الرباط بتاريخ 24 أكتوبر 1920 يقول للسيد جورج ليكيس (G.Leygues) رئيس المجلس الوزاري بفرنسا :

لقد لاحظت أثناء زيارتي الأخيرة الى فرنسا مدى الجهل المطبق الذي يهيمن على بعض الجهات المأذونة حيال ما تؤديه هنا في المغرب كلمة « السلطان » حيث لاحظت أن تلك الجهات تصنفه على أنه نحو (باي تونس) أو (سلطان مصر) أو (شريف مكة) مع أنه لا صلة اطلاقا بين هؤلاء وبين مركز السلطان بديار المغرب !

إن السلطان هنا هو الامام الذي توجه شعبه : عاهل سياسي وهو قبل كل شيء رئيس ديني لسائر المسلمين في المغرب بل وفي الأجزاء النائية الأخرى حتى تمبكتو كما أدركته بنفسي — يقول ليوطي — أيام الحرب وفي بعض الاجزاء الأخرى من جنوب الجزائر التي تنظر الى ملك المغرب على أنه الملك الشرعي للاسلام على وجه الأرض بينما يعتقدون أن باي تونس وخديوي مصر ليسا الا موظفين يعملان لمصالح الأتراك، بينما نجد أن وظيفة شريف مكة تقتصر على توزيع الصداقات التي ترد إليه من سائر الجهات على ضعاف الأماكن المقدسة ...!

وفي رسالة دورية بتاريخ 18 نونبر 1920 موجهة من ليوطي الى سائر مساعديه والى مختلف رؤساء المصالح يقول :

نحن هنا في المغرب وجدنا في الحقيقة، دولة وشعبا معا، مرا فعلا بأزمات ولكن هذه الأزمات إنما كانت حديثة العهد، وهي أزمات حكومية أكثر منها أزمات اجتماعية، ويكفي أن نرجع قليلا الى التاريخ لنشهد حكومة حقيقية تظهر أمام العالم كأية دولة من دول الأسرة الدولية بما كانت تتوفر عليه من وزراء لامعين وسفراء ناجحين كانوا يجلسون الى حانب الدولة الأوروبية فيؤدون واجبهم كأتم ما يكون الأداء، وبعض هاته الشخصيات ما يزال الى الآن ينعم بالحياة.

وبصرف النظر عن هيأة المخزن (الحكومة) فإن معظم المنشآت كانت الى وقت قريب تقف على قدميها، وهي كثيرة منبثة في سائر الأقاليم وهي تمثل في الواقع حقائق ...

( ) أول مقيم فرنسي عام بالمغرب بعد عقد الحماية 1912آ

من جدوله

هذا ولما كان الكلام بالارقام من اعظم وجوه الاكتتام
التي يستعان بها على نيل المرام اتخذ هذا المسطور
مشتملا على اسماء من ياتي من معهم تداول الكلام مبتدا فيهم
باسم الجناب المولوي اعزه الله ثم وزراء الحضرة
الشريفة واهل الوظائف المخزنية ثم ما هو كثير
الاستعمال من الالفاظ وقد جعل لكل واحد
مما ذكر عدد من الغبار مرقوم بازائه خاص به وكل
ما اريد التكلم في شانه بالمكاتبة او د
التلفظ او اثباته فيرقم ما له من الغباري ويجعل
خط على هذا الشكل — بجانب كل كلمة تمييزا
لها عن التي بعدها وحيث كان الغرض قد
يتعلق بغير تلك المقيدات ضمن هذا المسطور
جميع حروف ابجد وجعل لكل واحد منها عدد من
الغبار لا يطلق على غيره واذا اريد التكلم بها
يرقم لكل واحد من الغباري وتوضع نقطة
هكذا • دلالة على الفرق بين الحرف والعدد واذا
اريد ذكر العدد فيوضع هذا الشكل A علامة عليه

الجناب المولوي اعزه الله 55

وزير الداخلية 67

وزير الخارجية 85

وزير الحرب 100

وزير المالية 150

الحاجب 175

وزير الشكاية 200

قايد المشور 205

الخلايف والكتاب

الخليفة 68

الكاتب الاول 69

الكاتب الثاني 70

كاتب 71

كل خليفة له 56

العايلة

الوالد 57

الولد 58

الاخ 59

ابن الاخ 60

العم 61

ابن العم 62

الخال 63

ابن الخال 64

الصهر 65

ابن الصهر 66

وهكذا فاذا كانت هناك بعض التنظيمات الاقطاعية في الجنوب فان باقي المغرب يتوفر على مؤسسات قروية واجتماعية، وقد كانت إدارة المدن على ما ينبغي في التسيير : التعاونيات والجماعات والدور التجارية الكبرى التي لها وكلاء مقيمون في الموانئ ...الانجليزية والألمانية والايطالية ... هذا علاوة على نخبة بورجوازية متفتحة مدركة غنية وقوية مما لا يوجد مثله إطلاقا في الجزائر (...) فلسنا نعيش في المغرب مع ناس بدائيين أو متخلفين أو سلبيين (4) ...

* * *

ولقد وصلتنا هذه الوثيقة عن طريق المعرض الذي اخذت وزارة الشؤون الثقافية على عاتقها تنظيمه كل عام لتوزيع « جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق » فكانت في صدر الوثائق الرابحة بالمعرض الخامس الذي تم سنة 1973 .

وقد قدمت من لدن السيد الحاج محمد بن محمد بن بنّاصر غنام ... آلت اليه من جده السيد بناصر الذي كان الشخص الثاني في دار النيابة بطنجة التي كانت كما سنرى بمثابة مبنى وزارة الشؤون الخارجية في المصطلح الحديث .

وقد توفرنا على نسخة أخرى من هذه الوثيقة يظهر أنها كانت منقولة عن الأولى بدليل قيام صاحبها ببعض التصليحات التي كان يراها ضرورية (5)...

فمَنْ هو الدبلوماسي المغربي بنّاصر بن أحمد غنام ؟

تعتبر أسرة غنام من الأسر الشهيرة الأثيرة في الرباط وهي من أصول عربية أندلسية وتوجد أسر من المشرق تحمل هذا الاسم .

سُمّي على جدّه الحاج بناصر... وقد عوض والده في نظارة الأوقاف بعد وفاته عام 1290 = 1873 ولم يلبث أن عينه السلطان مولاي الحسن (الأول) عام 1292 = 1876 أمينا للسفارة التي أوفدها العاهل صحبة السيد الزبدي الى فرنسا وانجلترا وبلجيكا وايطاليا لمفاوضة هذه الحكومات في شأن (الحماية) التي كانت تمنح لبعض المواطنين

---

4) Hassan II le Défi : Ed. Albin Michel 1967 P. 219 — 220

5) وقع للكاتب في النسخة الأولى للوثيقة سهو عندما عبر عن حروف الهجاء بحروف أبجد... فاننا نعلم أن لحروف أبجد أرقامها الخاصة بها منذ قديم الزمان ، وهي التي يعبر عنها ابن خلدون بحروف الجمل... وهي عند المغاربة على ترتيب غير الترتيب المعهود في المشرق كما سبق القول...

المغاربة من لدن تلك الدول ، والتي كانت تسبب للدولة المغربية عددا من المشاكل... وبعد أن تقلب في عدد من الوظائف وقام ببعض المهمات التي تمس الادارة المالية نقل سنة 1315 = 1897 الى طنجة حيث عمل بها أمينا قبل أن يقوم السلطان مولاي عبد العزيز بحركته الأولى في سبيل اصلاح أساسي لدار' النيابة بطنجة حيث وجدناه ينشيء مجلسا استشاريا للنائب ، ويضع دستورا للدبلوماسية المغربية ويحدد المهام الرئيسية للدار وذلك بمقتضى مرسوم ملكي هام يحمل تاريخ 4 جمادى الأولى عام 1318 = 30 غشت 1900 .

في هذا التاريخ التحق السيد غنام بدار النيابة كمستشار أول للسيد محمد بن العربي الطّريس النائب السلطاني . وحتى نتصور الحجم والمنهاج الذي أصبحت تسير عليه النيابة بطنجة أو « الفسّينة » كما كانوا يسمونها نرى من المفيد للمهتمين بتاريخ الدبلوماسية المغربية أن نأتي — في الملحقات — على الظهير العزيزي الذي يحمل تاريخ 4 جمادى الاولى 1318 (30 غشت 1900) والذي يعتبر بمثابة **النظام الداخلي لسير وزارة الشؤون الخارجية** ، وقد كان آخر ما كلف بإعداده وتحضيره أمين الأمناء السيد عبد السلام التازي قبل أن يستعفى ويقصد البقاع المقدسة (6)

★ ★ ★

ولقد كان من المهام التي أسندت الى السيد بناصر غنام — وهو يمارس عمله بدار النيابة في طنجة — تسميته عضوا في السفارة التي بعث بها السلطان مولاي عبد العزيز عام 1319 = 1901 الى كل من فرنسا وروسيا صحبة السيد عبد الكريم ابن سليمان وزير الخارجية آنذاك ، ثم أرسل عام 1320 = 1902 الى الجزائر موفدا من قبل السلطان المذكور لتحية رئيس الجمهورية الفرنسية بمناسبة زيارته للجزائر ووهران ...

ويظهر أن المحاولة السابقة لاصلاح العمل بدار النيابة لم تؤت أكلها فان « المجلس الاستشاري » تحول الى منافسات كان يستغلها المتربصون

---

6) د . التازي : رسائل مخزنية ، مطبعة أكدال ، الرباط ص 64 .

والمتأملون من خارج النيابة (7) ، الأمر الذي دفع بالسلطان مولاي عبد العزيز الى أن يقوم عام 1322 = 1904 **بحركته الثانية في** دار النيابة بطنجة حيث استدعى أمين الأمناء الحاج عبد السلام التازي للمشاركة في الحكومة بعد أن استعفى قبل أربع سنوات للقيام بمناسك الحج على ما قلناه.

وهكذا سُمّي التازي « نائبا » بطنجة عوض الحاج محمد بن العربي الطريس حيث وجدنا النائب الجديد يلتمس من العاهل أن يشد أزره بإبقاء بناصر غنام الى جانبه تقديرا لخدماته وتجربته الطويلة .

وهذا نص الظهير الذي وجه الى الحاج محمد الطريس في شأن تعويضه بالتازي وذلك حسبما يوجد بخزانة نقيب الدولة المالكة مولاي عبد الرحمن ابن زايدان :

« خديمنا الارضى الحاج محمد الطريس وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد فإننا على يقين من إنفاقك نفائس عمرك في صدق خدمة جنابنا الشريف منذ سنين ، وتمسّكِ فيها بحبل متانة الدين ، واستفراغك طاقة وسعك بجد وصفاء طوية وحسن يقين ، كما أننا على بال من تشوقاتك السابقة غير ما مرة بالرغبة في إراحتك من مشقة التكليف برياسة **دار نيابتنا** السعيدة بطنجة حرسها الله معتذرا بكبر السن ووهن العظم وضعف القوى عن تحمل أعباء ذلك المنصب الأهم ، وكان يصدر لك بما يسليك عن مكابدة تلك المشاق ، ويحملك على الصبر ولزوم القيام بذلك الواجب الذي هو أهم ما تطوق به الأعناق ، والوعد في مساعدتك في الابان الذي يقتضيه الحال ، ويترجح فيه من يكون بدلا عنك في رياسة تلك الأشغال . وقد اقتضى نظرنا الشريف الآن إجابة طلبك ، وإسعاف رغبتك ، وفاء بوعدنا السابق ، وشفقة عليك من تحمل ما لا يطيقه تزايد الضعف اللاحق ، ومجازاة لك باغتنامك جمع شملك في بلدك ، وتفرغك في الزيادة فيما يرضي الله ورسوله بقية عمرك ، فأرحناك من ذلك التكليف ، عن رضا من خاطر جنابنا الشريف ، وعيّنا الخديم الارضى الحاج عبد السلام التازي الرباطي بدلا عنك في القيام بذلك الوظيف ، فنأمرك أن

---

7) عبارة عن مؤرخ الدولة مولاي عبد الرحمن ابن زيدان : لم يقع بين الرئيس والمرؤوسين وفاق فاعترى ذلك الجمع التكسير ...
العز والصولة I ، 306 — 307 — 308 .

تمكنه من جميع ما على يدك من الشروط والأوفاق والضوابط والمكاتب والكنانيش والتقاييد وجميع ما راج على يدك في مدة تكليفك من أشغال دار نيابتنا السعيدة ومتعلقاتها وأن تبصره بكل ما يقتضي الحال اطلاعه عليه وأن تبين له القضايا التي **لازال** الكلام يروج فيها وما آلت اليه المباشرة في كل واحد منها وما يتعلق بها ليكون على بصيرة في إتمام مباشرتها على الوجه المتعين فيها . وأذنا لك بعد ذلك في التوجه لبلدك مثابا مأجورا متفيئا في ظلال رضى الله ورسوله ورضانا ملحوظا مسرورا ، والسلام في 3 رجب 1322 » (13 شتنبر 1904).

وبالرغم من عدم التحاق التازي بمقر مأموريته على ما سنرى حيث تقرر إبقاء الطريس ، فقد استمر بناصر غنام يقوم بأعمال دار ال نيابة مع النائب الى أن تولى السلطان مولاي عبد الحفيظ مكان أخيه السلطان مولاي عبد العزيز عام 1325 = 1907 حيث عُيِّنَ في اللجنة المكلفة بتقويم الخسائر التي لحقت الدار البيضاء بسبب الفتن التي أدت الى احتلال المدينة من طرف فرنسا واسبانيا...

وقد كانت آخر مهمة ديبلوماسية قام بها ــ بعد أن أثيرت المصاعب من الأجانب ضد إرجاعه لعمله بدار النيابة في طنجة ــ هي إرساله من لدن السلطان مولاي حفيظ عضوا في السفارة التي بعث بها العاهل الى اسبانيا صحبة أحمد ابن المواز عام 1327 = 1909 .

فمن الذي ألف هذه الوثيقة السرية ؟

لقد صيغت مقدمتها بأسلوب تعمّد بدوره أن يحتفظ بالسر حول من ألفها ومَن كتبها فقد بُنِيَ للمجهول تركيبها : « اتُّخِذ هذا المسطور...» «وقد جُعل لكل فرد...» «ضُمِّنَ هذا المسطور...» «وجُعل لكل حرف...»

وهكذا فإن العمل **عمل حكومة** فيما يتأكد وليس عمل فرد ولو أن هذا الفرد كان هو الذي يطبِّق تعليمات الوثيقة الحكومية .

وهنا يطرح السؤال : متى «نُسِخَ هذا المسطور أو اتخذ قاعدة للمخاطبات السرية»

سنقرأ الجواب عن السؤال على بعض صفحات الوثيقة وخاصة الصفحة التي تتحدث عن وكلاء المغرب بالخارج وأعضاء النيابة في

طنجة حيث نجد فراغا مكان اسم النائب [8]... والصفحة الرابعة التي تتحدث عن الخبراء العسكريين الأجانب والصفحة الخامسة التي تتحدث عن الجهاز المالي والريال العزيزي والصفحة الثانية عشرة التي تتحدث عن بعض الرتب البحرية وبعض الدُور التجارية...وخاصة الصفحة العشرين التي أقحمت بآخرها علامة الثائر الفتان ، مع أنها أي الصفحة كانت لأيام الأسبوع وللشهور...

وهكذا! نستطيع القول بأن الوثيقة نسخت أو جددت في أيام السلطان مولاي عبد العزيز وقبل مؤتمر الجزيرة الخضراء[9]... وبالذات في أوائل رجب 1322 = منتصف شتنبر 1904 عندما أعفي الحاج محمد بن العربي الطريس من النيابة عن السلطان وأسندت فيه المهمة للحاج عبد السلام التازي بمقتضى عدد من الظهائر العزيزية التي صدرت للطريس وكذلك بمقتضى الخطابات الخاصة التي أرسلت بتاريخ 4 رجب 1322 = 15 شتنبر 1904 لسائر قضاة المدن الساحلية التسع : تطوان طنجة ، العرائش ، العدوتان ، البيضاء ، أزمور ، الجديدة ، اسفي ، الصويرة... وكذلك لسائر أمناء المراسي التسع ، علاوة على القواد العشرة : ابن سعيد ، السويسي ، الجديدي ، ابن هيمة ، الازموري ، المنبهي ، العبدي ، الغازي ، المختاري ، المديوني[10].

كانت ظروف هذا التعيين لا تخفى على أحد ، فلقد سبق أن أبرمت كل من فرنسا وبريطانيا اتفاقية في أبريل 1904 تنازلت الأولى بمقتضاها للثانية عن مصر ! وباعت هذه لتلك بلاد المغرب ! وقد شهدت طنجة في الشهر الموالي 18 مايو 1904 عملية اختطاف قام بها الشريف الريسوني استهدفت بعض الرعايا البريطانيين والامريكان...وقد اقترن هذا بنزول البعثة الفرنسية برئاسة طايلاندي الى فاس...

---

8) خلا منصب «النيابة» مرتين أولاهما عندما أعفي الطريس عام 1904 وثانيهما عندما التحق بربه في 16 شعبان 1326 = 13 شتنبر 1308 بعد نحو من شهر من انتصار مولاي حفيظ على أخيه مولاي عبد العزيز...

9) مما يلاحظ في الوثيقة أنها لا تتضمن حديثا عن (بنك المغرب) الذي تنص عليه بعض رسائل مولاي عبد العزيز بتاريخ 12 ذي الحجة 1324 = 27 يناير 1907 .

10) ابن زيدان : الاتحاف 5 ، 363 . عبد الهادي التازي : رسائل مخزنية ، القسم الأول ، مطبعة أكدال 1979 ، ص 68 — 69 — 70 .

ومن المعلوم أن تعيين التازي في منصب النيابة أزعج الى حد كبير خصومه ، وبخاصة أعضاء السلك الأجنبي الذين عرفوا عن إخلاصه وجديته أثناء ممارسته لوزارة المالية قبل أربع سنوات الأمر الذي كان وراء التآمر لتجميد التحاقه بطنجة ... لقد بلغ التطاول بالبعثات الأجنبية بطنجة ـ يقول مؤرخ المملكة ـ أن أخذت تعتقد أن من حقها أن تشاوَر حول (من) سيعهد اليه بمباشرة العمل معها حتى ليخيل للمرء أن دار النيابة كانت سفارة مغربية معتمدة لدى الهيأة الدبلوماسية ! ونسيت السفارات الأجنبية هي المعتمدة من طرف حكوماتها لدى السلطان وحكومته فمن رضي عنه الدبلوماسيون والقناصل قُبِلَ ومن غضبوا عليه صار شخصا غير مرغوب فيه(12) !

في تلك الاثناء حُررت الوثيقة التي ترك فيها اسم النائب معلقا مع اثبات الرقم الخاص به وهو 86 في حين أثبتت فيه لائحة سائر أعضاء النيابة وعلى رأسهم بناصر غنام...

وهناك مؤشر آخر يأتي في الصفحة العشرين عندما ألحقت بأسفل الصفحة الأخيرة علامة الثائر الفتان (بوحمارة ؟) (T) عوض أن تكون في الصفحة الرابعة الخاصة بالشؤون الحربية ، وهو الأمر الذي يدل على أن تمرد (بوحمارة ؟) طرأ والوثيقة معمول بها...

وهكذا يتأكد لنا أن الوثيقة ترجع للتاريخ الذي افترضناه وهو أوائل رجب 1322 = منتصف شتنبر 1904 .

وإذا ما تجاوزنا تلك الاشارات فإننا سنجد أنفسنا أمام ملاحظات أخرى تدل بدورها على بعض الظواهر التي تعطينا فكرة عن واقع الأيام التي عاشتها الوثيقة...

نحن أمام طائفة من الألفاظ الدخيلة التي لم تتهيب المخطوطة إقحامها ضمن اللغة العربية المستعملة ، وهكذا لم يجد المؤلف غضاضة في استعمال كلمة الديناميت (Dynamite) وكلمات بنك نوط

---

11) Michaux-Bellaire Organisation des Finances du Maroc : JournalasiatiqueT.X.T. 1907 Pierre Guilben : L'Allemagne et le Maroc 1967 P. 826 - Weisgerber : Le Maroc il y a 30 ans 1928 P. 26-27 Au seuil du Maroc moderne P. 67 P.G. Rogers : A history of Anglo-Morocco Relation to 1900 , London P. 233.

12) ع . ابن منصور : اعلام المغرب العربي I ، ص 220.

(Bank-notes) والشيك (Chèques) والليطرة (Les traites) والليبَر (Le livre) والريال البندقي (Venezia) والبارة (La barre) والأنطريس (Les intérêts) والكمسيون (Commission) والسكرطة (Seguridad) وألميرنط (Al Mirante) وقنصل جنرال (Consul Général) وبيس قنصل (Vice-Consul) وشمان — دوفير (Chemin de fer) والبوسطة (Poste) وتلغراف (Télégraphe) وسكلار (Circular).

وعلى خلاف القلقشندي في صبحه عندما اعتمد الأرقام الهندية في حل معمياته ، فإن صاحب الوثيقة اعتمد على استعمال **الأرقام الغبارية**... وكان يعني بالقلم الغباري ما اعتدنا أن نعرفه في سائر الموسوعات العالمية باسم الأرقام العربية (Les Chiffres Arabes) وهي :

0 — 1 — 2 — 3 — 4 — 5 — 6 — 7 — 8 — 9 — 10
11 — 12 — 13 — 14 — 15...

وقد سميت بالغبارية لأن النساخ الذين كانوا يرسمونها كانوا يضعون عليها غبارا لتنشيف مدادها... وقد انتقلت الى أوروبا من المغرب في وقت مبكر جدا بواسطة جيربير (Gerbert) الذي أصبح البابا سيلفيستر الثاني كما قلنا . . .

وكما اعتاد المغاربة على الاعتماد على القلم الغباري استعملوا آنذاك الخط الفاسي أو القلم الرومي الذي سبقت الاشارة اليه...

ونظرا للغموض الذي لاحظ صاحب الوثيقة أنه قد يتعرض اليه الكاتب عندما يركب الرسالة بواسطة أرقام غبارية متوالية ، نظرا لذلك وجدناه يبتكر فاصلة توضع بين الكلمات تمييزا لها فيما بينها ، على نحو ما يقوم عليه اليوم نظام «الشِّيفرة» بوزارة الشؤون الخارجية ، وكانت الفاصلة التي اختارها على شكل خط أفقي صغير : شرطة على هذا النحو : (**660** — **55** — **860**) أي (كتب لنا) ويؤديها رقم **660** (الجناب المولوي أعزه الله) ويؤديها رقم **55** (بالعمل على ما تقدم لكم) ويؤديها رقم **860**.

وقد شعر «صاحب الوثيقة» بأن قاموسه لا يستوعب سائر أغراض الرسالة ، لذلك وجدناه يقدم طريقتين عمليتين للاستعانة بهما لتعمية الرسائل الموجهة.

ويتعلق الأمر في الحالة الأولى بما ورد في الصفحة 20 : أي أن تعمد الى الحروف الهجائية وتجعل لكل واحد منها رقما غباريا معيّنا... وعوض أن تكتب بها أي بحروف الهجاء فإنك تكتب بأرقام الغبار ،

وزيادة في التوضيح فإنه يجب عليك أن تجعل فاصلة بين الحروف...
كنا فيما سبق نستعمل فاصلة الشرطة بين الكلمات ، وهنا نستعمل كفاصلة بين الحروف نقطة على هذا الشكل • للتدليل على الفرق بين الحرف والحرف .

تريد أن تقول لصاحبك : «البحر هائج» فترسمه هكذا : 20 .
21 . 25 . 29 — 45 . 20 . 24 .
قد يقال : إنه يبقى مع كل هذا الاحتياط شعور بنقص أو فراغ عندما لا نجد وسيلة لشكل الحروف ، بيد أن اعتماد «الشِّيفرة» على المادة العربية و على قواعدها يجعل من السهل الاستغناء عن الشكل الذي نجدهم اليوم — بوزارة الخارجية — يؤدونه بواسطة الحروف اللاتينية .

وفيما اذا حدث أن اشتملت الرسالة أو البرقية على ذكر عدد قد يلتبس بالأرقام التي أعطيت للكلمات والجمل والحروف ، فإنك تحصر هذه الأعداد بين شكلين على هذا النحو : A الذي يشبه حرف A في اللغة اللاتينية ، وهكذا عندما نجد مثلا : A 85 A فإن القصد يكون الى عدد خمسة وثمانين وليس الى وزير الخارجية !

أما الحالة الثانية من حالات التعمية عندما لا نجد في هذا «القاموس» غرضا من أغراض الرسالة ، فهي تختار لحروف الهجاء أشكالا تجعلها لها..

وفي الحالة الأولى كنا نعبر عن حروف الهجاء بأرقام غبارية وفي هذه الحالة نعبر عنها بأشكال تتردد بين حروف لاتينية وبين أرقام غبارية .

تريد أن تبلغ صاحبك بأن البحر هاج فترسمه هكذا طبقا للتعليمات التي وردت في آخر صفحة من الوثيقة :

2 . O . D . U . L . A . S . O .

★ ★ ★

لقد ابتدأ المسطور بإعطاء رقم لسيد البلاد كان هو «الخمسة والخمسين» فمتى تحدثت بهذا الرقم كنت تعني «الجناب المولوي» أعزه الله.

ولابد أن المغاربة جميعهم يميزون الى اليوم بين الموسيقى التي يعرفون عنها في محافلهم والتي يطلقون عليها اسم «الآلة» بدون نسبة الى جهة ما وبين الموسيقى الأخرى التي يطلقون عليه موسيقى الخمسة والخمسين

والتي لا يقصدون بها شيئا غير موسيقى الجناب المولوي أعزه الله...
وكثيرا ما نسمع مثل هذا التعبير السائر : «ضربت عليه الخمسة والخمسين» يعني أنه في وضع كوضع الملوك بذخا وعظمة وراحة بال...
سمعنا عن بعض السادة المهتمين بالآلة الاندلسية يقولون إن القصد بالخمسة والخمسين الى عدد النوبات الموسيقية مضروبة في عدد الصنائع الخمس ، كما قرأنا عن آخرين أن اسم الخمسة والخمسين آت من أن عدد أفراد الجوق كان خمسا وخمسين ، ولكنني أميل الى الاعتقاد بأن القصد الى «الجناب العالي» أي ملك المغرب .
وبعد هذا فأظنني لست بحاجة الى أن ألتمس تفسيرا لمغزى اختيار «الخمسة والخمسين» فإن هذا الر قم مُتيمَّن به لدى سائر المغاربة...فهم يذكرونه إزاء كل من يحبونه أو يشفقون عليه من عين حسود... وهم يؤمنون بأنهم عندما يقولون مثلا : «خمسة على عين الحسود» يقصدون الى الآيات الخمس في سورة «قل أعوذ برب الفلق»...
وبعد رقم جلالة الملك كان رقم الولد (58) والأخ (59) والصهر (65) ...
ثم كان رقم الوزراء والقضاة والنظار والقواد الى آخر اللائحة التي لم تغفل أي موظف سام من موظفي الدولة في الداخل والخارج .
وبعد أن تقدم الوثيقة المواد التي تهم الجيش من أسلحة وقطع غيار... والتي تهم المالية... والمهن التي تتصل بالجناب العالي والشكايات والمشور الملكي... كل برقمه...
وبعد أن تقدم المراكز والمدن الساحلية للمملكة المغربية والمراكز والمدن الداخلية ثم القواعد الافريقية والممالك الأسيوية والأوروبية والأمريكية...
وبعد أن تقدم لنا بعض الرتب البحرية... والدور التجارية التي لها صلة بالأغراض المخزنية . بعد أن تقدم لنا ذلك ، كل برقمه الخاص به... تنتقل الى الفصل الثاني وهو الذي يتعلق بالمفردات والجمل المتداولة في الخطابات الرسمية...
وهنا نجد أنفسنا مع «قاموس» مقسم الى قسمين : الأول خاص بالجمل الفعلية ، والثاني خاص بالمفردات والحروف.. وكلا القسمين مرتب ترتيبا دقيقا على الحروف الهجائية .

وهكذا يبتدى القسم الأول بالافعال التي تبتدئ بالألف : أخبرنا أخبرناه.. أخبرونا...الخ. اكتب له مع البُوسْطَى — اعمل الواجب عليك ولا تقصر . كل جملة يدل عليها بمجموعة عددية لا تتعدى ثلاثة أرقام...

ثم يأتي حرف الباء : بايع — بريئ مما نسب اليه...الخ. ثم التاء..توجه على طريق البحر...ثم الجيم والحاء والخاء والدال : دافع بالتي هي أحسن !.. ثم العين : عمل لنا تلغرافا... عمل سكلارا.. الى الياء : يسر لنا الأمور المكتوب لك عليها...

كما ندخل للقسم الثاني كذلك بالمفردات المبتدأة بالألف : العمل على ما تقدم لكم ... المدد في الطريق وبوصوله يكون لك الاعلام في التلغراف...ثم الباء ...الخ. الى أن تقدم الوثيقة أرقامها لكل حرف من الحروف الفبائية قبل أن تقدم أشكالا أخرى لتلك الحروف متى تعلق الاختيار بها...

هذا طبعا الى أرقام كل يوم من الأيام الاسبوعية وكل شهر من الأشهر العربية القمرية...على نحو ما تقدمت الاشارة اليه .

ولابد أننا نتذكر أننا أشرنا الى أن صاحب الوثيقة أدرج في آخرها علامة الثائر الفتان ، وبذلك برهن على أنه كان يعايش الأحداث ويبتكر لكل ما يجد ، شكلا من الأشكال لتسهيل عملية الاتصالات والمخاطبات...

وقد كان من الملاحظات الدقيقة في الوثيقة التي نقدمها اليوم أن الذي وضع الأرقام لأشخاصها وجد نفسه أحيانا مضطرا لاعطاء رقم مكرر ، فحتى لا يقع الناس في اللبس جعل أمام الرقم المكرر علامة هكذا: 2/: ويحدث أن يكرر الرقم ثلاث مرات وحينئذ يجعل أمام الرقم المكرر ثلاثا علامة 1/4 على نحو ما نلاحظه في بعض الصفحات..

وسنرى — ونحن نستعرض المخطوطة — أن الذين أشرفوا على تدوينها كانوا على وعي تام بما يجري من حواليهم وسنتأكد مرة أخرى من الحقيقة التي رددناها وهي أن المغرب ظل الى آخر لحظة دولة تشعر بما كان تجره وراءها من مفاخر ومناقب وأمجاد...

النصّ الكامل للوثيقة
مع التعاليق والشروح

الحمد لله وحده

هذا ، ولما كان الكلام بالارقام ، من أعلى وجوه الاكتتام ، التي يستعان بها على نيل المرام ، اتخذ هذا المسطور مشتملا على أسماء مَنْ يكون معهم تداول الكلام مبتدأ فيهم باسم الجناب المولوي أعزه الله ، ثم وزراء الحضرة الشريفة ، وأهل الوظائف المخزنية ، ثم ما هو كثير الاستعمال من الالفاظ ، وقد جعل لكل فرد مما ذكر عدد من الغباري(1) مرقوم بإزائه خاص به ، فكل ما أريد التكلم في شأنه بالمكاتبة أو التلغرافات(2) ، فيرقم ما له من الغباري ويجعل خط على هذا الشكل ــ بحذاء كل كلمة تمييزا لها عن التي بعدها ، وحيث كان الغرض قد يتعلق بغير تلك المفردات ، ضُمِّنَ هذا المسطور جميع حروف الهجاء ، وجعل لكل حرف منها عدد من الغباري لا يطلق على غيره ، فإذا أريد التكلم بها يرقم ما لكل حرف من الغباري وتوضع نقطة هكذا . دلالة على الفرق بين الحرف والحرف ، وإذا أريد ذكر العدد فيوضع هذا الشكل : A علامة عليه.

---

1) الأرقام الغُبارية تعني ما يسمى اليوم في الموسوعات العالمية بالارقام العربية ، وقد دأبت بلاد المغرب على استعمالها منذ العصر الوسيط ، وقد استعملها العالم الرياضي المعروف ابن الياسمين المتوفى عام 601 ، من مؤلفاته أرجوزة في الجبر قرئت عليه وسمعت في اشبيلية سنة 587 .. وقد لاحظنا استعمال هذه الارقام العربية في تواريخ الرسائل الدبلوماسية ، في وثيقة وطاسية بتاريخ 24 صفر 932 هـ وقد لفتت هذه الارقام الغبارية نظر سفيرنا الغزّال وهو يراها في طريق اسبانيا علامة على تحديد المسافات عام 1180 = 1767 وكأنه يكتشف انتقالها من بلاد المغرب الى أوربا ..

2) من المعلوم أن مدينة طنجة التي تعتبر العاصمة الدبلوماسية للمغرب ــ على هذا العهد ــ كانت تتوفر على تلغراف يربطها بأوروبا منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وفي أوائل القرن العشرين شاع استعمال الخطوط التلغرافية داخل المغرب ، ولابد أن نذكر هنا أن محاضر مؤتمر الجزيرة الخضراء (1906) ، كانت تصل ملخصاتها عن طريق التلغراف .

Maroc , L'Encyclopédie coloniale et Maritime 1848 P. 465 .

الجناب المولوي أعزه الله [3]	55
وزير الداخلية [4]	67
وزير الخارجية	85
وزير الحرب	100
وزير المالية	150
الحاجب	175
وزير الشكاية [5]	200
قائد المشور [6]	205

الخلائف والكتاب

الخليفة	68
الكاتب الأول	69
الكاتب الثاني	70
كاتب	71
كل خليفة له	56

3) يرمز للجناب العالي بالله برقم 55 الذي نعتقد أن منه ورد اسم «موسيقى الخمسة والخمسين» الخاصة بصاحب الجلالة ملك المغرب ، وقد قرأنا أن هذا الاسم (خمسة وخمسين) ورد من أن عدد أفراد الجوق خمسة وخمسون ، كما قرأنا أن التسمية آتية من أن عدد النوبات في الموسيقى الاندلسية يبلغ إحدى عشرة نوبة مضروبة في عدد الصنائع الخمس ، تلك خمسة وخمسون...

4) يتساءل عن إثبات (وزير الداخلية) في الجهاز الحكومي مع أنه لم يكن معهودا سماعه حتى في العهد القريب من بسط الحماية الفرنسية ، وإنما كان المعهود وزارة الخارجية والحربية والمالية ووزارة الشكاية . ابن زيدان : العز والصولة 1 ، 272 — 309 — الاتحاف 1 ، 374 .

5) يعني وزارة المظالم أو وزارة العدل.. المصادر السابقة .

6) قائد المشور : رئيس أعوان القصر ومرتبته تأتي بعد مرتبة الحاجب ، والمشور كما هو معلوم ساحة من الساحات المضافة للقصر الملكي أو المجاورة له ، والمشاوريون : جمع مشاوري : أعوان القصر ... العز و الصولة 2 ، 191 .

العائلة

المتوظفون

(7) أمين المستفاد : الموظف الذي يعهد إليه بالاشراف على قبض الضرائب غير المباشرة كحقوق الابواب والاسواق...

دار النيابة السعيدة

---

(8) أمين الصائر : الموظف الذي يعهد إليه بالانفاق على القصور الملكية والأسرة المالكة مياومة ومشاهرة ومسانهة طبقا لتقديرات الملك.

(9) الاهراء جمع هُرى بضم الهاء وهو يعني المخزن الكبير الذي يجمع فيه القمح ونحوه ، وأمينه هو المؤتمن على ما فيه ، والمكلف بإخراجه على مقتضى الأوامر الصادرة إليه.

(10) يقصد بوكيل الحرمين الموظف السامي الذي عهد اليه بما نسميه اليوم بالشؤون القنصلية وربما السياسية كذلك ... وبالرغم من أن الدبلوماسية المغربية لم تكن تهتم بضرورة إقامة البعثات في البلاد الأجنبية إقامة طويلة — إلا أن المغرب مع ذلك كانت له في بعض البلاد التي تربطنا بها الحاجةالمستمرة ، وكلاء مقيمون على نحو ما رأينا في مصر منذ ايام السلطان مولاي سليمان ، وفي جبل طارق (الحاج سعيد جسوس وعبد السلام بوزيان) وفي الحرمين الشريفين وطرابلس وتونس ، على ما أوضحناه في (تاريخ المغرب الدبلوماسي).

(11) بلغ من اهتمام الدولة أن نصبت من تلقاء نفسها وكيلا يهتم بمصالح الذين انقطعوا وغابت أخبارهم عن ذويهم كما اهتمت بنصب (وكيل للايتام) يُعنى بمصالحهم وتوجيههم...

(12) يقصد به النائب السلطاني ، وهو الشخصية السياسية الدبلوماسية التي تتحدث باسم الحكومة مع السلك السياسي والقنصلي المقيم بطنجة ، وقد كان للنائب مستشارون مساعدون تقدمت الاشارة لبعضهم وهو السيد غنام، ويقصد بالسيد بنيس هنا الحاج عبد الرحمن.وبرادة يقصد به الحاج حفيظ برادة والتطواني هو محمد التطواني ، وملين هو الحاج العربي ... إلخ. ولعل من أبرز الظهائر الملكية التي تعتبر بمثابة النظام الداخلي لسير دار النيابة هو الظهير العزيزي الذي يحمل تاريخ 4 جمادى الأولى عام 1318 = 30 غشت 1900 الذي كان آخر ما كلف بتحضيره الأمين السيد عبد السلام التازي قبل أن يقصد البقاع المقدسة والذي سنثبته في آخر الكتاب ...

الجيوش

(13) نرى أن الدولة تولي اهتماما خاصا بالحدود الصحراوية سيما بعد أن ترامت أسبانيا وتبعتها فرنسا على بعض الأطراف التي ظل المغرب يعتبرها جزءاً لا يتجزأ من المغرب علاوة على ما سنراه من النص أيضاعلى الحدود الشرقية والحدود الغربية...

(14) المحلة يقصد بها قطع الجيش العاملة ومكان حلولها ونزولها.

(15) الطبجية : الجنود المدفعيون ، والكلمة تركية مفردها طبجي ، وقد كان من أواخر القواد الطبجية الحاج محمد زنيبر..الاتحاف 1 ، 380 .

وجه شرذمة من الخيل إلى	107
انهض ليلا واضرب عند الفجر على	108
الحرَّابون (16)	109
المهندسون	110
الحرَّاب النِّجليزي	111
الحراب الفرنصاوي	112
الطاليانيون أصحاب الفابريكة (17)	113
الصلة للنهوض قد فرقت (18)	114
النهوض تعين في	115
تخييم المحلة يكون في	116
انهض من	117
ويكون نزولك في	118
حُزْ الماشية والبهائم	119
حُزْ العدة من يد القبائل	120
الخيل	121
البغال	122
الابل	123

(16) يقصد بالحراب الضابط الحربي الذي يدرب الجنود المغاربة على الحرب ، وقد كان للمغرب حرابون خبراء من جنسية انجليزية أشهرهم القائد ماك لين ومن جنسية فرنسية كذلك ، علاوة على الحرايين المغاربة ، وفي عهد السلطان مولاي حفيظ كان للمغرب أيضا حراب تركي...

(17) الفابريكة يعنى بها المصنع الذي كان يشرف عليه بفاس الماجور كامبيني Campini يساعده بعض التقنيين الطاليان ، ابن زيدان : الاتحاف 2 ص .495 — 499 — 353.

LeTournau: Fez avant laprotectorat , P 353 , 495 , 499.

(18)الصّلة تعني المنحة والعطاء...

الأسلحة والاقامة [19]

(19) الاقامة : ما يقام به أود الشيء : إقامة البناء ما يتوقف عليه من أدوات ، إقامة المركب : ما يتوقف عليه كذلك من قطع : قلوع وحبال ، ومن هنا كان تعبير المغاربة عن النعناع بالاقامة لأن بها يقام الشاي.

(20) القرطوس : يقصد إلى ما تسميه القرطاس أي البارود (العز والصولة 1 ، 134) .

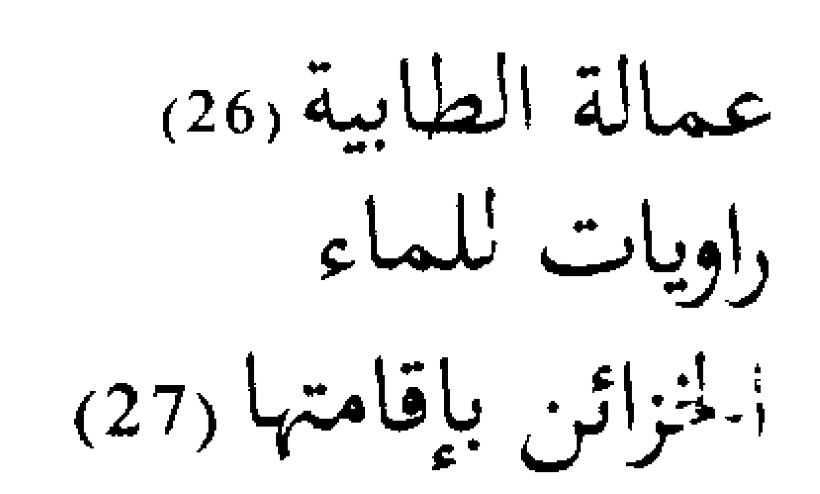
(21) يقصد بها المدافع التي تصدر عن مؤسسات كوكيريل (Cockerill) البلجيكية ، وقد أهدت البعثة الدبلوماسية البلجيكية نماذج منها للسلطان مولاي عبد العزيز.

(22) يقصد بالشريشمة : المدفع الرشاش.

(23) يقصد التركيبة التي تفجر اللغم .(laMine)

(24) العتالي : جمع عتلة أداة للحفر تشبه الفاس.

(25) يقصد الطرنبة باللغة الفرنسية .(Lapompe)

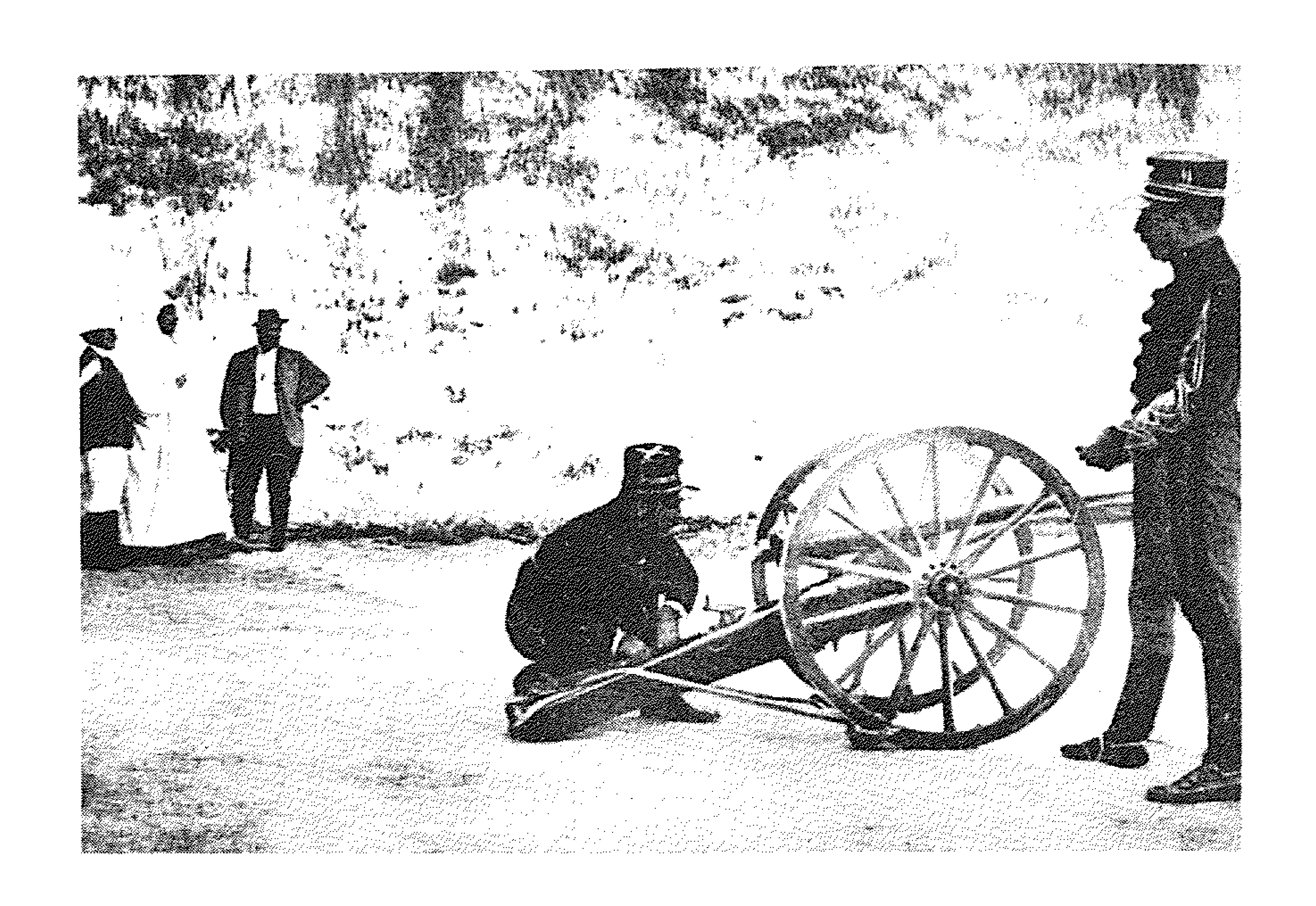


عمالة الطابية (26) 141
راويات للماء 142
أ-الخزائن بإقامتها (27) 143



جلالة الملك السلطان مولاي عبد العزيز محفوف بالسناتور كريمار (عن يمينه) والوزير دوبوسيري يتسلم نموذجا من مدافع كوكيريل من لدن القائطان دويس والبوتنان جوني بحدائق القصر الملكي بفاس عام 1904 .

(26) نوع من الآجر المفروغ.
(27) راجع التعليق رقم 19 ص 70



جلالة السلطان مولاي عبد العزيز يقف بنفسه على مدافع كوكبريل التي قدمتها البعثة البلجيكية في شهر مايو 1904 .

المـاليـة وما يناسبها

أنعم عليه سيدنا ب	151
كاغيط بنكنوط (28)	152
الشاك (29)	153
الليطرة (30)	154

(28) بنك نوط القصد إلى العملة الورقية (Bank - note) أو الأوراق المصرفية.

(29) الشاك : يعني الحوالة المصرفية(Chèque)

(30) الليطرة : (Latraite)

الريال العزيزي (31)	155
الليرة (32)	156
اللويز (33)	157
الفرنك	158
الريال الفنش (34)	159
سبيكة النحاس (35)	160
سبيكة الذهب	161
سبيكة الفضة	162
بارة النحاس	163
بارة الخفيف	164
ملحة البارود	165
السلف	166
الانطريس (36)	167
الدين	168
احسب الكُمسيون (37)	169
اعمل السكرطة على المال (38)	170
اليطرة لم تقبل وردت لكم	171
اقبض الضامن أو الراهن	172
الكبريت	173

(31) الريال من الوحدات النقدية التي كانت متداولةبالمغرب ، والكلمة من أصل إسباني ، أي الملكي (Real) والعزيزي نسبة إلى السلطان مولاي عبد العزيز الذي نعتقد أن الوثيقة كتبت في عهده ، وكان أول من سك الريال السلطان مولاي الحسن الأول، وقبله كان التعامل بالريال الاسباني (بومدفع) وبالدرهم المحمدي (نسبة إلى محمد بن عبد الله)

(32) الليرة : الوحدة النقدية الايطالية (La lire)

(33) اللويز : قطعة ذهبية فرنسية (Louis)

(34) يعني الريال البندقي. Le tournau , P . 987. Venise

(35) السبيكة والبارة : كل منهما قطعة وقد يختص استعمال السبيكة بالمعدن النفيس بينما تستعمل البارة (La barre) بالنسبة للنحاس والخفيف ، وقد يعكس...

(36) يعني الفوائد المالية . Les intérêts

(37) يعني العمولة. (Commission)

(38) يقصد التأمين واللفظة من أصل اسباني (SEGURIDAD)

الحناطي[39] وما يناسبها والمؤنة

الشريف مولاي[40]	176
صاحب الوضوء	177
صاحب الفراش	178
صاحب المكحلة	179
الدار	180
الروض	181
الافرايكية[41]	182
أفراك خارج	183
الأروى خارجة[42]	184
الحَمّارة[43]	185
الزرع	186
الشعير	187
الدّقيق	188
الكسكوس	189
البجماط	190
الأرز	191
الزيت	192

(39) الحناطي جمع حنطة : المهنة يقوم بها جماعة من أعوان القصر الملكي لهم أشغال خاصة يتميزون بها فهذا ضابط الاتصال وهؤلاء أصحاب الفراش وهؤلاء أصحاب الوضوء المكلفون بتحضير الماء الذي يتوضأ به الملك... وأصحاب المكاحل المكلفون بالمحافظة على البنادق الخاصة بالملك... ويقصد بالمؤنة التموين بأنواع الغذاء.

(40) إشارة إلى شخصية معينة قريبة جدا من الملك : ترعى ساعته وترتب أوامره (وتتكلف) ببعض شؤونه.

(41) هؤلاء أصحاب أفراك وهو خيمة كبرى تعد لنزول الملك وأهله أثناء تنقلاته وحركاته وتنصب حولها خيام الوزراء والكتاب وقواد الجنود ومكاتبهم... مدينة متحركة...

(42) الاروى : الاسطبل : مأوى الدواب والقصد إلى ما فيها من خيول.

(43) يقصد بالحمّارة جمع حَمّار : شخص يقوم بنقل المسافرين والسلع بين المدن على ظهور الدواب وللحمّارة حنطة خاصة بدار المخزن عليها قائد يسمى : قائد الحمارة. وقد اندثرت هذه الحنطة بظهور وسائل النقل الحديثة.

الشـكـايـات

ترجمات تابعة لقائد المشور

---

(44) تعني دار المخزن القصر الملكي ، مقر الحكومة ، وهو آت من أن هذا المكان هو مركز لخزن المواد والذخائر...
(45) راجع التعليق رقم 6 صفحة 66
(46) المسخّر : هو الرقاص الخاص بجلالة الملك.

وصل ونفذ له النزول	210
تلاقى بسيدنا وأهدى	211
نفذ له الفرس والقبة	212
نفذت له الكسوة	213
نفذت له البغلة	214
زيد له في خدمته	215
ولّى على	216
وُدّع	217
عُزل	218
ضرب وسجن	219
إذا لم يمتثل ما أمر به فاقبض عليه	220
سرّح	221
أنهض له رقاص(47)	222
أنهضنا له رقاصا	223

(47) الرقاص في الاصطلاح المغربي القديم : ناقل البريد من بلد إلى بلد ، وموزع الرسائل على من وجهت إليهم ، وله نظام خاص معروف منذ عهد الموحدين بمقتضى ظهير ملكي بتاريخ 543 هـ ومعلوم أن هناك الرقاص العادي ، ورقاص الشرط وهو ساعي البريد المستعجل ، كان ينقله بين المدن على الافراس والخيول بغاية السرعة ، حيث كان الرقاص يجد في كل (نزالة) حصانا مسرجا ملجما يمتطيه الى (النزالة) التي تليها تاركا فيها الحصان الذي امتطاه في النزالة التي قبلها ، ويذكر أن رقاص الشرط قطع المسافة بين طنجة وفاس في اثنتي عشرة ساعة فقط في بداية هذا القرن ... وكلمة الرقاص ، بهذا المعنى عربية فصيحة فإن الرقص ضرب من الخبب ، ورجل مرقص كثير الخبب والسير وقال حسان :

بزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل !

ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، تحقيق عبد الهادي التازي طبعة بيروت 1964 ص 129 ابن القطّان : نظم الجمان تحقيق د . مكي ص 151

بعض المراكز والمدن الساحلية

وادي الذهب (48)	225
بوجدور	226
طرفاية	227
وادي الدرة (درعة)	228
وادي نون	229
أسكا (49)	230
صانطا كروز (50)	231
أكلو (51)	232
تزنيت	233
ماسة	234
أكدير	235
الصويرة	236
آسفي	237
طيط	238
الجديدة	239
أزمور	240

(48) القصد إلى (الداخلة) وإنما سمتها الوثيقة كذلك متابعة للاصطلاح الاسباني ، وإلا فإن المرسوم الملكي بتاريخ 4 رمضان 1303 = 17 مايو 1887 (عهد السلطان مولاي الحسن الأول) يصحح الاسم : «وأما وادي الذهب فيوجد بناحية أولاد دليم ويسمى عندهم الداخلة..» تراجع الرسالة الحسنية.

(49) القصد إلى أسكا شمال وادي نون على مقربة من المصب كما ترسمه خريطة 1848.

(50) يرتبط اسم صانطاكروز بتوقيع معاهدة هدنة 1860 في أعقاب حرب تطوان ، عندما فرض المفاوض الاسباني على المغرب الانعام عليه بأرض تصلح للصيد يتم تعيينها من لدن لجنة مشتركة وتعينه خريطة 1848 شمال مصب وادي نون...

د. التازي : الثغور المغربية المحتلة بين المواجهة المسلحة والتدخل الدبلوماسي مجلة البحث العلمي عدد 24 — 25 — 26 — 27 / 1975 — 1976.

(51) أكلو يقع جنوب ماسة ، وقد كان ضمن المراكز التي زارها السلطان مولاي الحسن الأول عام 1299 = 1882، دفاعا عن البلاد مما طمحت إليه نفوس المؤملين على حد تعبير الرسالة الملكية.

بعض المدن والمراكز الداخلية

(52) ترى أن الحكومة المغربية ما انفكت تعتبر أن سبتة ومليلية جزءاً لا يتجزأ من المدن الساحلية للمملكة المغربية على نحو بادس ونكور والجزر الجعفرية
التازي : الثغور المغربية المحتلة ، المصدر السابق...

(53) تهتم الوثيقة ببعض المراكز التي لها صلة بالزوايا الصوفية على نحو ما تهتم الحكومة اليوم بمراكز الاحزاب السياسية ، ولهذا نجد هنا اسم زاوية الشرادي وزاوية بجعد وزاوية تازروت...

(54) يصفه بالكبير تمييزا عن القصر الصغير أو قصر مصمودة وهو (قصر المجاز) الذي كان يتم منه العبور إلى الأندلس باعتباره أقرب نقطة إلى أوروبا... ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 191.

(55) تقع عين الشعير شمال الجبل الذي يحمل نفس الاسم جنوب (المنكوب) غربي فيكفيك ، وهي من النقاط المغربية الهامة.

(56) تهم الوثيقة التي بين أيدينا بالحدود الشرقية نظرا لما كانت الحكومة المغربية تلاحظه على الجيوش الفرنسية المحتلة وهي تتمطط بين وقت وآخر وتقلص من حدودنا الدولية في وقت كان المغرب يواجه الأخطار المحدقة به من كل ناحية.

(57) اهتمام المغرب أيضا بالحدود الغربية كان يعني أنه لا يعترف بالوجود الفرنسي والاسباني والانجليزي كذلك في بعض المواقع الغربية حيث نرى الحكومة المغربية ما تنفك تعبر بطريقة أو بأخرى عن مقاومتها للغزو الاوروبي لسواحلها سواء أكانت في الغرب أو الشمال أو الشرق.

بعض المدن من افريقية

---

(58) سلوان توجد في إقليم الناضور.

(59) قلعية من مدن المغرب الشمالية وهي التي ورد ذكرها في رسالة اليوسي للسلطان مولاي اسماعيل التازي : بطاقة في منتهى الطاقة ، مجلة (المناهل) عدد شعبان 1399= يوليو 1979 ص 30.

(60) توجد ضمن مدنها مدينة وجزيرة بادس المحتلة ، وإلى بقّيوة ينتسب الشاعر أبو عبد الله الكراسي صاحب «عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل» المطبعة الملكية ـــ الرباط 1383 = 1963.

(61) يلاحظ أن الوثيقة استوعبت المناطق الخمسة لافريقيا ، ففيها من الجهة الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية والوسطى.

الدمنهور	296
مصر	297
سويس	298
بلاد الجريد	299
الحبش	300
الصومال	301
زنجبار	302
تمبكتو	303
السنيغال	304
كينيا العليا (62)	305
الكونغو	306
كينيا السفلى	307
كولونيا (رأس الرجاء الصالح)	308
موزانبيق	309
بلاد الزنج (63)	310
جزيرة مديرا (64)	311
جزائر كناريا	312
جزائر الرأس الأخضر	313

(62) مرت كينيا (نيروبي) بسلسلة من الأوضاع السياسية إلى إعلان استقلالها ، وهكذا ففي سنة 1895 أصبحت مستعمرة بريطانية عرفت باسم مستعمرة كينيا أما الشريط الساحلي فقد وضعه سلطان زنجبار تحت حماية بريطانية فعرف بمحمية كينيا ، فهنا إذن كينيا المستعمرة وكينيا المحمية ، وعن هذين تعبر الوثيقة بكينيا العليا والسفلى...

(63) تقصد الوثيقة يلاد الزنج ليبيريا وعاصمتها منروفيا...

(64) تعتبر الوثيقة جزيرة (مديرا) — وهي برتغالية — ضمن المواقع الافريقية على نحو جزر كناريا وجزر الرأس الأخضر.

المشاهير من ممالك آسيا وقصباتها [65]

الممالك		القصبات			
بلاد الترك	314	ازمير	315	بيروت	316
بر الشام	317	دمشق	318		
بلاد العرب	319	مكة المشرفة	320	المدينة	321
		جدة	322		
بلاد العجم	323	طهران	324		
اليمن	325	صنعاء	325:/ 2		
العراق	326	بغداد	326:/ 2		
أفغانستان	327	كابول	328		
بلوخستان	329	كيلات	330		
هندستان	331	كلكتا	332		
الهند الصينية	333	متكابو[66]	334		
الصين	335	بكين	336		
بلاد التتر	337	بخارى	338		
بلاد سيبريا	339	توبوليسلك[67]	339		
ممالك يابان	341	جدو[68]	342		

(65) عندما يعبر بالقصبة في المغرب فإن القصد إلى مركز السلطة الحاكمة ، وهكذا فإن المعنى هنا على العاصمة أو العواصم التي توجد بها تلك الممالك ، ويستعمل لفظ (القصبة) في العالم الانجلوسكسوني اليوم استعمالا غير ذي صواب.

(66) توجد هنا كلمة يقرب أن تكون هكذا (متكابو) وقد ترددنا بين قراءتها كامبوديا وبين (ماكاو).

(67) القصد كما نرى إلى .(TOBOLSK)

(68) توجد كعاصمة لليابان كلمة «جدو» والقصد طبعا إلى (EDO) وهو الاسم القديم قبل طوكيو...

ممالك أوربا		قصباتها			
انجلترا	343	لندن	344	ليبربول(69)	346
		منشسطر	345	بيرميغام (69)	347
سكوتسيل	348	ادنبـــــوج(70)	349		
إيرلاندا	350	دوبلين (71)	351		
بورتكال	352	ليسبون (72)	353		
اسبانيا	354	مادريد	355	مالكة	356
		قالص	357	جبل طارق (73)	358
فرنسا	359	باريز	360	مرسيلية	361
		الليون	362	الطلون	363
بلجيكا	364	بروكسيل	365	اللياج (74)	366
هولاندا	367	امستردام	368		
دانمارك	369	كوبنهاغن	370		
جرمانيا	371	همبرج	372		
بروسيا	373	برلين	374		
استريا	375	فينا (75)	376		
بلاد السويس	377	برن (76)	380		
إيطاليا	379	رومة	380	طورنوا	381
		ميــــلان(77)	382		

(69) القصد الى Manchester و Liverpool و Birmigham

(70) القصد الى Scotland و Edinburgh

(71) القصد الى IRLAND و Dublin

(72) القصد الى Portugal — Lisbonne

(73) ترى أن المغرب يعتبر جبل طارق ملكاً للاسبان على نحو ما كان يعتبر سبتة ومليلية ملكا له...!

(74) القصد الى بروكسيل و Liège

(75) القصد الى النمسا Autriche و Vienne

(76) القصد الى Berne

(77) القصد الى Turin و Milan

بلاد اليونان	383	أثينا	384	جزيرة كريت (78)	385
بلاد الترك	386	القسطنطينية	387		
روسيا	388	بطرس بورج	389	الموسكة (79)	390
السويد	391	استكهلم	392		
نروج	393	كرستيانا (80)	394		

ممالك امريكا		قصباتها	
امريكا الشمالية	395	واشنطون	396
الجنوبية : بنزويلا	397	كراكاس	398
البرازيل	399	ريوجنيرو	400

بعض الرتب

الميرنط (82)	401
السفير	402
باشدور (83)	403
قنصل خنرال	404
فيس قنصل (84)	405
ترجمان	406
بابور التريكي (85)	407

---

(78) Ile de Crète

(79) القصد الى Petersbourg و Moscou

(80) كانت العاصمة Kristiana

(82) القصد الى (AL MIRANTE) أمير البحر ، وبهذا الاسم عرف منذ عهد بني مرين

(83) تفرق الوثيقة بين السفير والباشدور ، وكأنها تخصص الاول للمغاربة

(84) يعني القنصل المساعد أو نائب القنصل

(85) القصد الى (التريكي) وهي السفينة البخارية التي اشتراها ملك المغرب مولاي عبد العزيز ، وقد كانت رئاستها بيد الرئيس الحاج محمد زنيبر يساعده أحد الاوربيين ، ويرتبط اسم هذا المركب بتاريخ استخلاص طرفاية من يد الانجليز بداية عام 1313 /الاتحاف I ، 5 ، 385

التريكي اليوم في	408
مركب حربي لدولة	409
مطلق بابور	410
شمان ديفير [86]	411

ذكر بعض التجار الذين يكلفون بقضاء الاغراض المخزنية

دار هسنير الالماني [87]	412
دار كوش كمبانية الفرنصيص [88]	413
دار برينطي كمبانية (منسمان انجليزية) [89]	414
دار ابن زويك فرنصيص [90]	415
دار ناهون الطليانية [91]	416

(86) القصد الى (Les chemins de fer)أو بابور البر كما يسميه الناصري في الاستقصاء (9 . 162 ــ 170) وقد كانت المحاولة الاولى لنصب السكة الحديدية أيام السلطان مولاي الحسن I، عام 1888 بمساعدة الحكومة البلجيكية حيث نصبوا نموذجا في مكناس وظهرت الصورة في مجلة : (Le Monde Illistré) بتاريخ 7 أبريل 1888 ثم كانت المحاولة الثانية في عهد مولاي عبد العزيز بمساعدة معامل كروزو (Creusot)وتمت التجربة من قصر الملك بفاس الى دار الدبيغ... وكانت فرنسا قد خططت للوصول للسينغال بواسطة قطار الصحراء...

Le Tournau : Fer P. 161

(87) Haissner

(88) Gautsch

(89) Bariante (Mannesmann)

(90) Braunschvig

(91) Nahon

بعض الأفعال

الألف

أخبرنا	450
أخبرناه	451
أخبرونا	452
أخبرتم	453
أخبرناهم	454
أخبرنا بالقبض على	455
أخبرنا بالنتيجة	456
أذناه في الاعانة	457
أذناه في طلب الاعانة	458
أجاب	459
أجبناه	460
أجابونا	461
أجابوا	462
أجابناهم	463
أجتمع الرأي على	464
أعرض عما شافهناه به	465
اشتر	466
اشترينا	467
اشترى	468
اشتروا	469
اكتب له مع البوسطة [1]	470

(1) القصد الى البريد (La poste) ، وكان المغرب يتمتع بجهاز بريدي منظم يقوم بتوزيعه (الرقاص) سالف الذكر ، وفيما يتعلق بالمراسلات مع الخارج كان يعتمد على رسله أيضا كما يعتمد على البعثات الدبلوماسية والقنصلية بطنجة فيما يكتسي صبغة السر ، وقد أنشئت أول إدارة للبريد العصري ـــ بعد الحمّار (بتشديد الميم) بواسطة ظهير (مرسوم ملكي) بتاريخ 2 جمادى 1310 موافق 22 نونبر 1892 بعد ممارسة تمهيدية ، ويشرف على هذه المؤسسات الامناء وأمناء المستفاد

امض الامر مع	471
أمضينا الامر مع	472
أمرناه بالقبض على	473
أذناه بالتربص في القبض على	474
أمرناه بالتربص في	475
اعمل الواجب عليك ولا تقصر	476
أشرتم	477
أشرنا عليه	478
أشرنا عليكم	479
أهملناه	480
أهملناهم	481
اهملوا	482
ألزم	483
ألزمناه	484
ألزمه	485
امتنع من	486
امتنعنا من	487
امتنعوا من	488
اجتنبنا	489
اجتنبوا	490
اجتنابوا	491
اجتنب	492

الذين يعتمدون على (الرقاصين) ... وقد عهد المغرب منذ 1907 الى شركة التلغراف بالقيام أيضا بأمر المراسلات ... ويحتفظ الارشيف المغربي — عام 1310 = 1892 بطوابع (فاس المحوطة بالله) وآسفي ، والعرائش ومكناس ومراكش وأزمور والدار البيضاء وطنجة وتطوان.. وابتداء من عام 1912 استعملت كلمة (البريد المخزني) Le Tournau, Fes, P 505 المنوني : مظاهر الحضارة المغربية 88 . 94 — 92

البـــاء

التـــاء

الجيم

الحاء

رجعوا إلى	621
رجعنا إلى	622
رجعتم إلى	623

الزاي

زحفنا على قبيلة	630
زحفوا على قبيلة	631
زحفوا على	632
زحفوا علينا	633

الطاء

طلب منا	640
طلبنا منه	641
طلبتم	642
طلب من	643
طلب الأعانة	644
طلبنا منكم	645
طلبنا منهم	646

الظاء

ظهر لنا	650
ظهر لهم	651
ظهر له	652
ظهر لكم	63
ظهر وجه الخير	654

الكاف

كتب لنا	660
كتبنا له	661

العيـن

عزم	730
عزموا	731
عزمنا	732
علمنا	733
علمناه	734
عمل لنا تلغرافا (2)	735
عملت له تلغرافاإلى	736
عمل سكلارا(3)	737
عملنا سكلاراإلى	738
عجل بالقدوم	739
عملنا الواجب علينا	740
عم	741
عملنا عليه	742
عمهم	743
عاهدناه على	744
عاهَدَنا على	745
عاهدناهم على	746
عاهدْنا على	747

الغيـن

غنم	750
غنموا	751
غنمنا	752

(2) ظهر أول خط سلكي بالمغرب حسب إشارة بتاريخ 8 شوال 1297 = 13 شتنبر 1980 راجع التعليق رقم 2 في ص 87 والتعاليق الخاصة بالرقاص والبوسطة ص 77.

(3) القصد الى الرسالة الدورية (La circulaire)وهو من الكلمات الرائجة في الاستعمال الاداري.

غنمناهم	753
غفلتم على	754
غفل على	755
غفلنا	756

الفاء

فقد	770
فقدوا	771
فقدناهم	772
فهمنا	773
فهم	774
فهموا	775

القاف

قدم	770
قدموا	771
قبض على	772
قبضوا على	773
قبضناهم	774
قبل ما شافهناه به	775
قتل	776
قطع رأسه	777
قطع رؤوس	778
قبلناه	779
قبلناهم	780
قصد	780:/ 2
قاصدا	781
قصدا	781:/ 2

قصدوا	782
قاصدون	783
قصدنا	784

السيـن

سجن	785
سجناه	786
سجنوا	787
سجناهم	787
سرحناهم	789
سرحهم	790
سنوجه المدد	791
سنوجه لكم مطلوبكم	792
ساعد في	793
ساعدناه في	794
سيكون الأمر على ما أشرت إليه	795

الشيـن

شرعوا	800
شرع	801
شرعنا	802
شافهناه	803
شافهنا	804
شافهتموه	805

الهـاء

هجم	810

هجموا	811
هجمنا	812
هرب إلى	813
هربوا إلى	814

الواو

وجهنا له	820
وجه لنا	821
وجهنا على	822
وردت علينا القبائل في الامان	823
ورد علينا	824
وعد	825
وعدوا	826
وعدنا	827
وعدناهم	828
وصلنا بخير	829
وصلتنا الأرقام بتاريخ	830

اليـاء

يكون الوصول في	835
يسر لنا الأمور المكتوب لك عليها	836
يرد علينا	837
يردون علينا	838
يرد عليكم	839
يردون عليكم	840

بعض المفردات

الألـف

العمل على ما تقدم لكم	860
إذا وصل أنزله في	861
القبائل صالحة	862
القبائل فاسدة	863
اللهم اذا كان	864
إليكم	865
إليه	866
إليهم	867
إلى	868
إن	869
إنه	870
إنا	871
إنكم	872
أنتم	873
أولئك	874
المباشرة	875
أخبرت	876
أكيد	877
الذي	878
إذا	879
أو	880
الاعانة	881
إما	882
المدد في الطريق وبوصوله يكون لك الاعلام في التلغراف	883

الباء

بكم	890
به	891
بهم	892
بالذي	893
بذلك	894
بعض	895
بتاريخ	896

الجيم

جنابكم	900
جوابكم	901
جوابه	902

الحاء

حينئذ	910
حين	911
حتى	912
حقا	913

الكاف

كونه	920
كيف أخبرت بي	921
كما	922
كأنكم	923
كفاية	924
كذلك	925

مدة	955
معه	956
معنا	957

النــون

نحن	960
نحو	961
ناحية	962
ناحيتكم	963
نحن في الاثر	964
نحن نباشروا الأمر في القضية	965
نحن على بال من ذلك	966

العيــن

على أهبة التوجه الى	970
على أهبة القدوم عليكم	971
على طريق البر	972
على طريق البحر	973
على شروط منها	974
على مقتضى الشروط فيه	975

الفــاء

فلا تقربه ولا تطلب منه شيئا	980
فهؤلاء	981
في ذلك	982
ذلك	983
فيه	984
فإن	985

فإنا	986
فإنه	987

الـهـاء

هو	990
هؤلاء	991
هذه	992
هأنتم	993

الـواو

وهما	1000
وما	1001
وإما	1002
ولابد أكد	1003
و... كان الأمر	1004
وإن	1005
وإنا	1006
ولك	1007
ولكم	1008
وأنتم	1009

حروف الهجاء[1]

الحرف	الرقم
ا	20
ب	21
ت	22
ث	23
ج	24
ح	25
خ	26
د	27
ذ	28
ر	29
ز	30
ط	31
ظ	32
ك	33
ل	34
م	35
ن	36
ص	37
ض	38
ع	39
غ	40
ف	41
ق	42

(1) جعل هذا النظام لحروف الهجاء أرقاما خاصة بها فيما إذا احتاج الكاتب لتركيب جمل أخرى غير الجمل المتقدمة ، حيث يعمد في هذه الحالة إلى الاشارة لما يريد عن طريق الأرقام المعبرة عن الحروف الهجائية.

س	43
ش	44
هـ	45
و	46
لا	47
ء	48
ي	49

أيـام الأسـبـوع

في يوم الاحد	1
في يوم الاثنين	2
في يوم الثلاثاء	3
في يوم الأربعاء	4
في يوم الخميس	5
في يوم الجمعة	6
في يوم السبت	7

الأشـهـر

محرم	8
صفر	9
ربيع الأول	10
ربيع الثاني	11
جمادى الأولى	12
جمادى الثانية	13

رجب	14
شعبان	15
رمضان	16
شوال	17
قعدة	18
حجة	19
علامة الثائر الفتان[1]	T

حروف الهجاء تقابلها الحروف الرومية أو الأرقام الغبارية [2]

ا	O
ب	A
ت	K
ث	F
جـ	2
حـ	L
خـ	B
د	G
ذ	3
ر	U
ز	I
ط	M

(1) الاشارة إلى كل خائن متمرد على السلطة ولعل حرف الطاء إشارة إلى (Traitre) وقد ظهرت في هذه الظروف بعض حركات منعزلة للتمرد على الحكومة المركزية سواء في الجنوب أو الشمال لكن القصد هنا فيما يظهر إلى الفتان بوحمارة الذي ظهر شرقي المغرب 1319 = 1903.

(2) هذه طريقة أخرى من طرق المراسلات بالرموز ، عبارة عن جعل حرف باللاتيني مقابلة حرف عربي وبما أن الحروف اللاتينية لا تستوعب سائر الحروف العربية وعددها ثلاثون فقد عوض عن بعضها بالأرقام الغبارية التي هي معهودة في الاستعمال المغربي.

ظ	H
ك	N
ل	S
مـ	E
ن	5
ص	P
ض	X
عـ	T
غـ	4
ف	W
ق	C
س	R
ش	7
هـ	D
و	8
لا	Y
ء	Z
ي	V

الملحقات

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد و[illegible]

١٧٩

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل
جوابك وبطيه ما أجابك به باشدور اصبانيا عن توجه مركب جنسه لمرسى شهبا
من قبيلة من توجههما للمرسى المذكورة وكتبه لدولته بذلك ومراده وليته تحقيق ما
كتب به بعض رؤساء السفن بعقد الباشدور وقبله من أن من خرج من رعيتهم من تلك السواحل الشو
للمرسى ووقع له ذلك فإنه يكون على نفسه وذكرت أنه سأل عن طالب وزير الأمور
البرانية بن قرايتم كان كلمه من جانبنا العالي بالله بواسطة الحزم عبد الصادق
هذا وما هنالك من الجهة الشوشية ملا مي واد ذرعة وفيهما ما عداه من الخ لتعل
دولته وتقبله قبل الفتح وكون الباعث لهم على ذلك كونهم لهم الأرض المسماة بالعرب
بوادي الذهب وبالعجمية باراد واليكونوا على بال في الاحتياط من وصول أجنبي بين الصحراء
وصار بالبال فقد كتب في تلك الأيام بالسؤال عن هذه والأماكن من الجهة المذكورة ما
بما حاطه من أن هذه حيث الكهف المستقل موضع من ناحية والسودان من ناحية
ومغنية من ناحية ونسخة من الجواب فقد تصلك كيف لتكون على بال من ذلك وأ
واد الذهب فقد بعث عبد إلى تلك الناحية فأخبر وإن هذا المحل بناحية أو
قبيلة تسمى بالعروسيين الذين هم عن مدى السفن بعقد النازلين بتلك من الكثرة ما
عندهم من الرحلة فأعلم الباشدور بذلك والسلام في 9 رمضان عام 1303

رقـــم 1

حدود المغرب تبتدئ من بعيد ...

4 رمضان 1303 = 6 يونيه 1886

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد ، وصل جوابك وبطيه ما أجابك به باشدور إسبانيا عن توجه مركبي جنسه لمرسى سهب الحريشة من تعجبه من توجههما للمرسى المذكورة وكتبه لدولته بذلك ومن أن دولته تحفظ ما كان كتب به لحضرتنا الشريفة الباشدور قبله من أن من خرج من رعيتهم من السواحل السوسية للبر ووقع له افاة فدركه يكون على نفسه وذكرت أنه شافهك بأن وزير الأمور البرانية بدولتهم كان طلب من جانبنا العالي بالله بواسطة الخديم عبد الصادق بأن حدادة هذه الايالة من الجهة السوسية هل هي وادي درعة أو منتهاها محل آخر لتعلم ذلك دولته وتقبله قبل الغير وكون الباعث لهم على ذلك كونهم لهم الأرض المسماة بالعربية بوادي الذهب وبالعجمية دأروا ليكونوا على بال في الاحتياط من دخول أجنبي بين الحدادتين وصار بالبال ، فقد كتب في هذه الايام بالسؤال عن حدود الايالة من الجهة المذكورة فاجيب بما حاصله من أن حدها حيث الكرسي المستقل وهو مصر من ناحية ، والسودان من ناحية ومغنية من ناحية ، ونسخة من الجواب برمته تصلك طيه لتكون على بال من ذلك ، وأما وادي الذهب فقد بحث فيه أعراب هذه الناحية فأخبروا أن هذا المحل بناحية أولاد دليم وقبيلة تسمى بالعروسيين الذين هم بخدمتنا الشريفة النازلين بنواحي مراكش وفاس ، ويسمى عندهم بالداخلة فاعلم الباشدور بذلك والسلام .

في 4 رمضان عام 1303 هـ .

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

محبنا الأعز الأرضى الأحظى الأمضى السيد الحاج أحمد التازي أمنك الله وسلام
عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فقد رشحت للتكليف
أمينا بتوسط المخزن أعزه الله بفاس فتأخذ بالحزم في النظر فيها
وتستعمل في أمرها ما نعهده منك في سائر أشغالك من الضبط والمقابلة
لذلك وتعمر المحل المعد لها ولا تستنيب أحدا عنك في مباشرتها بغير عذر
والأمر المقتضي يبين لك كيفية تصرفك فيه مع مولاي عرفة ومع الرقاصين
وتطلعه على عمله في الكناش لتمشي في تفصيل الداخل والخارج على
مقتضاه كما يبين لك عمله مع أمناء مرسى عريل في الورقة التي بيده وخط
البتر بالمرة التي يحجر لك ذلك كله أن تحرر وقد كتبنا له بذلك
مع أنك لا بد من أن تتدبر استثناء فيه من الآخذ الحاضر له في عمل تصرفه
مع الأمناء المذكورين والمحل الذي تعمل فيه شغل التوسط يكون بالمنزل
الجديد بالقطانين بالكراء وقد كتبنا للحاج عبد الكريم بنلو بأن
ينظر لك محلا به ويزين الأمر بذلك مشار له أن ينفق لك محله ففي
مدة التي أن يتيسر لك المحل الذي ينظر لك الحاج عبد الكريم حتى لا يتعذر عليك
الشغل قبل تيسير محله ولكي عند الحاجة والله ولي التوفيق والإعانة
وهو الهادي إلى الصواب سبحانه وعليه المعول والسلام في جمادى الأولى عام
1317 عبد السلام التازي لطف الله به

رقـــم ١١

تعيين الأمين السيد أحمد التازي مشرفا على البريد بفاس

16 جمادى الأولى 1317 = 19 شتنبر 1899

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

محبنا الأعز والأرضى الحظى الأمضى السيد أحمد بن أحمد التازي أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد ، فقد رشحت للتكليف أمينا ببوسطى المخزن أعزه الله بفاس لتأخذ بالحزم في التصرف فيها وتستعمل في أمرها ما نعرفه منك في سائر أشغالك في الضبط والمقابلة لذلك وتعمر المحل المعد لها ولا تستنب أحدا عنك في مباشرتها بغير عذر ، والأمين المعفى يبين لك كيفية مصارفته مع مولاي عرفة ومع الرقاصين ويطلعك على عمله في الكناش لتتمشى في تفصيل الداخل والخارج على مقتضاه كما يبين لك عمله مع أمناء دار عديل في الورقة الشهرية وخط اليد لهم بالمدرك الشهري فيحرر لك ذلك كله أتم تحرير وقد كتبنا له بذلك مع أنك لابد من أن تزيد استنادا فيه من الاذن الصادر له في عمل مصارفته مع الأمناء المذكورين ، والمحل الذي تعده لشغل البوسطى يكون بالفندق الجديد بالقطانين بالكراء وقد كتبنا للأمين الحاج عبد الرحمان لحلو بأن ينظر لك محلا به وزيد للأمين بذلك المشار له أن يبقى لك محله تقضي فيه الى أن يتيسر لك المحل الذي ينظر لك الحاج عبد الرحمان حتى لا يتعذر عليك الشغل قبل تيسر محله ، وكن عند الظن بك والله ولي التوفيق والاعانة وهو الهادي إلى الصواب سبحانه وعلى المحبة والسلام . في 16 جمادى الأولى عام 1317

عبد السلام التازي لطف الله به

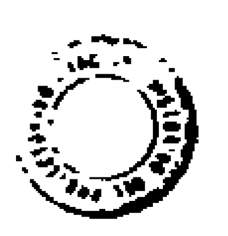
الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله



النائب الحاج محمد الطريس	200
ولده	150
هنام	200
ابن مصير	200
ابن فلاح	150
الحاج حبيب بن ادة	200
القائد ابن الحاج احمد لشاش	
بنا الحاج الحسين بن	200
التاجر ... الفاسي	
...	
ابن ...	150
... الطالب ...	
ابن كيران	075
العدل الطالب محمد بن ...	
ابن ... القاضي البريطل	
...	075
الكاتب	500
	2700

[illegible]



رقم III

النظام الداخلي لوزارة الخارجية المغربية

الحمد لله وحده وصلى لله على سيدنا ومولانا محمد وآله
خدامنا الأرضين النائب الأنصح الحاج محمد بن الحاج العربي الطريس والقائد عبد الله بن سعيد السلوي والأمين الطالب بناصر غنام والأمين الطالب عبد السلام أحرضان الطنجي والأمين الحاج عبد الحفيظ برادة الفاسي وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فغير خفي أن ذلك الثغر الطنجي حرسه لله ، هو أهم ثغور إيالتنا السعيدة ومرءاتها ، وهو مناط المصادر والموارد التي تدور بين جنابنا الشريف وبين دوّل الاجناس ونوابها ، كما لا يخفى ما بذله خديمنا الاصلح الحاج محمد الطريس من النصح في خدمة جنابنا الشريف المتعلقة بأشغال الأجانب وغيرها واستفراغه في ذلك جهد طاقته منذ نصب لذلك حياة سيدنا الوالد قدس الله روحه الى الآن ، وطالما شرح ما يلحقه من المشاق في تكاثر أشغال الاجانب وضعف قواه عن معاناتها لكبر سنه ووهن عظمه وكانت تصدر له الأجوبة عن ذلك بالتسلية بما في تحمله من جزيل الثواب ورضوان الله ورسوله ، إذ القيام بذلك من أعظم القربات بل هو أنفس ما يدخره المؤمن في الحياة وبعد الممات ، ولما تعلمه من متانة دينه ومراقبة الله في سره ونجواه ، وطالما أمعنا النظر في تدبير كيفية تكون جامعة بين بقائه على تكليفه وحرمة منصبه ووظيفه حيث لا غنى عن بركته ، وبين تخفيف أعباء التعب عنه مع القيام بأشغال الاجانب على الوجه المتعين فيه الى أن شرح الله صدرنا الآن لترتيب كيفية جامعة للمقاصد المذكورة بحول الله ، وهي أن يكون خديمنا المذكور هو كبير المقام ورئيسه ، وبعلامته تختم جميع المكاتب الصادرة من ثمة لجانب المخزن وولاته ، ولنواب الاجانب ، ويزاد المخاطبون أعلاه ليكونوا أعضاء المجلس معه على نحو ما يذكر ، كما يزاد معكم فقيه المجلس الطالب عبد القادر بن قاسم المراكشي

لتحرير المقبول والمردود من الحجج التي يدلي بها الاجانب وغيرهم ومعه عدلان أحدهما الطالب الطيب ابن كيران المراكشي والآخر الطالب محمد بن علي الهواري الفاسي ، لما توسمناه في كل واحد من الاعضاء المذكورين من الاهلية لما ذكر ، وليستعان به على تقريب التحرير فيما يرجع لاعراف بلده وأحوال أهلها مما عسى أن يخفى عن غيره ، ويكون معكم كُتَّاب ثمانية بنظركم ، ولتنتخبوا أيضا ترجمانا أو ترجمانين بحسب ما يكفيكم ممن فيه أهلية المعرفة بأهم الألسنة خطابا وجوابا وقراءة ، سواء كان بلديا أو أجنبيا مع ملاحظتكم فيه شرط التمارة (1) وكتمان الاسرار ، وأن اقتضت المصلحة إبدال أحد من الترجمانين بغيره فلكم النظر في ذلك ، كما أن لكم النظر في إبدال من اقتضت المصلحة إبداله من الكتاب حيث أن العهدة عليكم فيهم وفي الترجمانين .

وها كتابنا الشريف لخدامنا أمناء المرسى هنالكم ، بتنفيذ الراتب المعين لكم، ولكل واحد من المتوظفين معكم على مقتضى ما سطر طرته (2) يصلكم صحبته ، وحيث تعينون الترجمان أو الترجمانين فأعلمو بما اتفق عليه رأيكم في الأجرة التي تعين لكل منهما لنصدر أمرنا الشريف بتنفيذها ، وبقية المعينين من هذه الحضرة المراكشية ومن فاس سيردون عليكم في الاثر إن شاء الله . والذي يكون عليه عملكم هو الاجتماع وقت الخدمة بمحلها صباحا وعشية ليعرض على جميعكم كل ما يرد على الفسّينة (3) من مكاتيب المخزن وولاته ومكاتيب الاجانب ، وكذا ما يرد على الفسينة من الكلام الشفاهي بحيث لا تبقى شاذة ولا فاذة من مكاتبة أو مشافهة الا عرضت على جميعكم ليمعن كل واحد النظر في ذلك المعروض ويبين ما ظهر له في القضية عند المفاوضة ، ثم ان اتفق الجميع على رأي واحد فالأمر ظاهر وان تكلم بعضكم بكلام لم يسلمه بقيتكم من أهل المجلس فلتبينوا لقائله وجه عدم تسليمه بالحجة المقبولة بيانا شافيا حتى يفهمه ويسلم وجه رده ، ولتكن مراجعتكم له في ذلك بليونة وتنزل لا بتعنت وتزييف جزافي ، لتبقى القلوب سليمة مجموعة على

---

(1) لفظة (التمارة) بالتاء قبل الميم ، يعني بالدارجة المغربية : الجدّية والأمانة

(2) الطرة المشار إليه تحمل المعلومات التالية :

النائب الحاج محمد الطريس يتقاضى 300 =

قلب رجل واحد في جلب المصالح ودرء المفاسد ان شاء الله . تم ان كان المعروض عليكم من دعاوي الاجانب يقتضي البحث وسؤال العامل ، وكانت حماية المتكلم عليه مسلمة على وفق مدريد »، فيكتب خديمنا الحاج محمد الطريس لأمناء المرسى القريبة من محل الدعوى بإعمالهم البحث عن الواقع على مقتضى ما اتفقتم عليه في كيفية الكتابة لهم ، وان كانت الدعوى قريبة من المدن التي ليست بمراسي فيكتب لأمناء الصائر بها كذلك ويكتب للعامل أيضا بما يقتضيه المقام من حيث السؤال ، وان كانت الدعوى فيها على البحث على يد الأمناء ، وان ظهر لكم في بعض القضايا التنصيص للأمناء على ما تعلمون له مزيد الاطلاع في القضية فلتنصوا لهم عليه ليستعينوا به على تحرير البحث ، والبحث يكون بتوجيههم من لهم الثقة بصدقه ومعرفته بمحل الدعوى ودرايته بأساليب التوصل لتحرير الواقع على وجهه وبحثه من لا غرض له من الجانبين وحيث يرد عليكم جواب بنتيجة البحث فلتتفاوضوا في ذلك وفيما يحتج به المدعي ، فان ثبت عندكم بطلان الدعوى فيجاب به المتكلم فيها ، وان ثبتت صحتها كلا أو بعضا وكانت متعلقة بالرعية دون العامل فيكتب خديمنا الحاج محمد الطريس بما أنتجته مفاوضتكم لذلك العامل من تقرير الدعوى وبيان حجة ثبوتها ليستخرج الحق الثابت ممن تعلق به ويدفعه لأربابه على يد المكلف بالبحث ويبقى الفُعَّال متبوعين بما يقتضيه نظرنا الشريف في أدبهم ، فإن أجاب العامل بالاعتراف بالواقع وتسليم ما

ولده	150
غنام	200
ابن سعيد	200
أحرضان	150
الحاج حفيظ برادة	200
بناني السميرس	200
الفقيه الدكالي	150
العدل ابن كيران	75
العدل الهواري	75
الكتاب	600

(3) الفسينة : كلمة اسبانية تعني المكتب

(4) الاشارة الى فريق من «المواطنين» الذين كانوا مشمولين بحماية دولة أجنبية ما ، فكان لهم وضع خاص على ما هو مبسوط في تاريخ المغرب الديبلوماسي عند الحديث عن مؤتمر مدريد الذي انعقد سنة 1880 خصيصا لدراسة القضية.

كتب له به خديمنا المذكور ونفذ مقتضاه فالأمر واضح ويجاب المتكلم بالمقتضى ويطلع عملنا الشريف حينئذ بصيرورة الدعوى بدءا وتماما ، وان أجاب العامل بالمنازعة وعدم التسليم فيطلع علمنا الشريف بذلك لنصدر الحكم المتعين فيه ، وان كانت الدعوى متعلقة بالعامل نفسه فيعجل باطلاع علمنا الشريف بها وبحجة المدعي فيها وبما حرره البحث المعمول فيها لنأمر فيها بالمقتضى كذلك ان شاء الله ، وان عرض ما هو مخصوص بالاحكام الشرعية فيتصفح فقيه المجلس حجة المدعي ويبين حكم الله في النازلة ، وتبينون أنتم ما يظهر لكم فيها من جهة الاعراف البلدية والاعتبارات السياسية ويكتب بشرح الجميع لجنابنا الشريف لنأمر فيه المتعين بحول الله ، وإن كان المعروض عليكم راجعا لقضايا الديون فيحضر المدعي حججه فيها وتعرض أولا على فقيه المجلس ليتصفحها ويبين التام المقبول شرعا فيها وغير المقبول ويعرض أعضاء المجلس بوجه عدم قبوله ، أما غير المقبول فيجاب به المدعي في الحين ، واما المقبول فيكتب الخديم الطريس بما توافق عليه رأيكم معه لعامل الغريم ان ادعى رب الدين أنه رفع شكواه لذلك العامل ولم يفاصله مع خصيمه فان فاصله العامل في حقه فذاك ، والا بأن ظهر منه عدم سلوكه الانصاف فيعجّل باطلاع علمنا الشريف بالواقع .

وقد أصدرنا أوامرنا الشريفة للأمناء المذكورين فيما يرجع للبحث وما يتبعه ولعمال المدن والقبائل المجاورة للمراسي كذلك بمقتضى ما ذكر وحذرناهم عاقبة التراخي في الأجوبة والجواب بغير مفيد .

وان ورد عليكم كتاب من شريف اعتابنا أو من أحد ولاتنا في حق لجانب المخزن أو لأحد من رعيتنا السعيدة على رعية الاجانب أو أهل حمايتهم فيسلك فيها ما سلك في دعاويهم على المخزن ورعيته ، وإن كان المعروض عليكم مما يرجع لمطالب الأجانب المنوطة بمصالح دولهم أو رعيتهم أو مما يبديه بعض النواب من الاشارات والتنبيهات التي يقصدون بها النصيحة لجانب المخزن فيما هو خاص به أو برعيته فلتتفاوضوا فيه بتأمل وإمعان نظر تام ويطلع علمنا الشريف بما ظهر لكم فيه ، وان ورد عليكم أمر مخزني في بعض القضايا وظهر لكم فيه ما يقتضي مراجعة

جانبنا الشريف لمصلحة ، فلتؤخروا تنفيذه ، وطيروا الكتب بشرح الوجه الحامل على المراجعة فيه لنرى فيه ويصدر لكم الجواب بالمتعين بحول الله ولتتخذوا لكل جنس من الأجناس كناشا مخصوصا به لترتبوا فيه نسخ ما يروج مع ذلك الجنس في كل قضية مع جميع متعلقاتها الكتابية والشفاهية بتواريخها وجميع ما يصدر عن محل أشغالهم من كتابة أو مشافهة تثبت نسخة منه بمحل قضيته من الكناش المعين وتضعون خطوط يدكم عقبه ليكون عمل الكنانيش أعون على تحرير المتعين في كل قضية عند مراجعتها .

هذا وجميع الشروط والاوفاق التي بمحل أشغال المخزن هناكم نأمركم ان تجردوا أسماءها في تقييد ببيان موضوع كل واحد منها وتاريخه وعدد فصوله ووجهوا التقييد لشريف اعتابنا لينظر فيه ويقابل بالشروط التي بحضرتنا الشريفة ، فما كان نظيره موجودا بها فأمره ظاهر ، وما لم يوجد نأمركم بتوجيه نسخة منه، وإن وجد بأعتابنا الشريفة ما لم يكن عندكم نوجه لكم نسخة منه بحول الله ، فنأمركم أن تشرعوا في ذلك من الان على بركة الله وعونه وأن تستفرغوا وسعكم وتبذلوا مجهودكم في القيام بهذا الشغل ، الذي لا أهم منه ، أتم قيام وان تبدوا جميع ما يظهر لكم فيه من النصائح لجانب المخزن وما ينتج عن ذلك من المصالح لرعيته وتعلموا أن الاعتناء بهذا الأمر بنية صالحة هو أجل ما يكتسبه العاقل في دنياه ويقتنيه لعقباه، نسأل الله لكم بالاعانة والتسديد وتضافر قلوبكم على التعاون في تشييد المصالح التي لا تبيد، إنه ولي التوفيق والهادي الى سواء الطريق والسلام. في 4 جمادى الاولى عام 1318. (30 غشت 1900)

DE L'HISTOIRE DIPLOMATIQUE DU MAROC

LES CODES SECRETS DES CORRESPONDANCES MAROCAINES A TRAVERS L'HISTOIRE

Dr. Abdelhadi TAZI
Membre de l'Académie du Royaume du maroc.

فهـــرس

الموضـــوع	الصفحـــة

رقم الايداع القانوني 332 ـ 1983

DE L'HISTOIRE DIPLOMATIQUE DU MAROC

LES CODES SECRETS DES CORRESPONDANCES MAROCAINES A TRAVERS L'HISTOIRE

Dr. Abdelhadi TAZI
Membre de l'Académie du Royaume
du maroc.